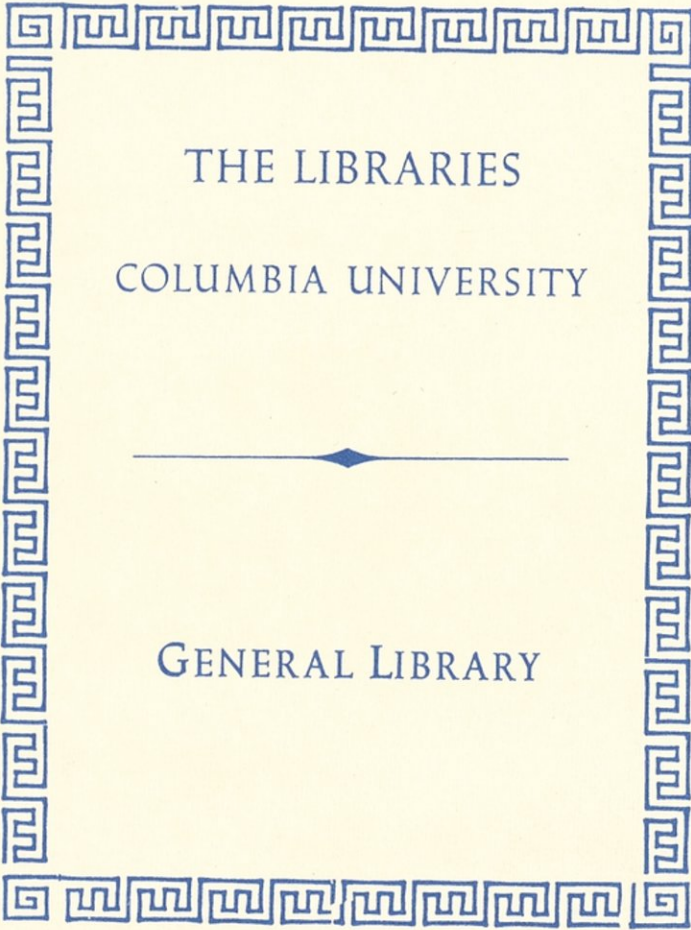
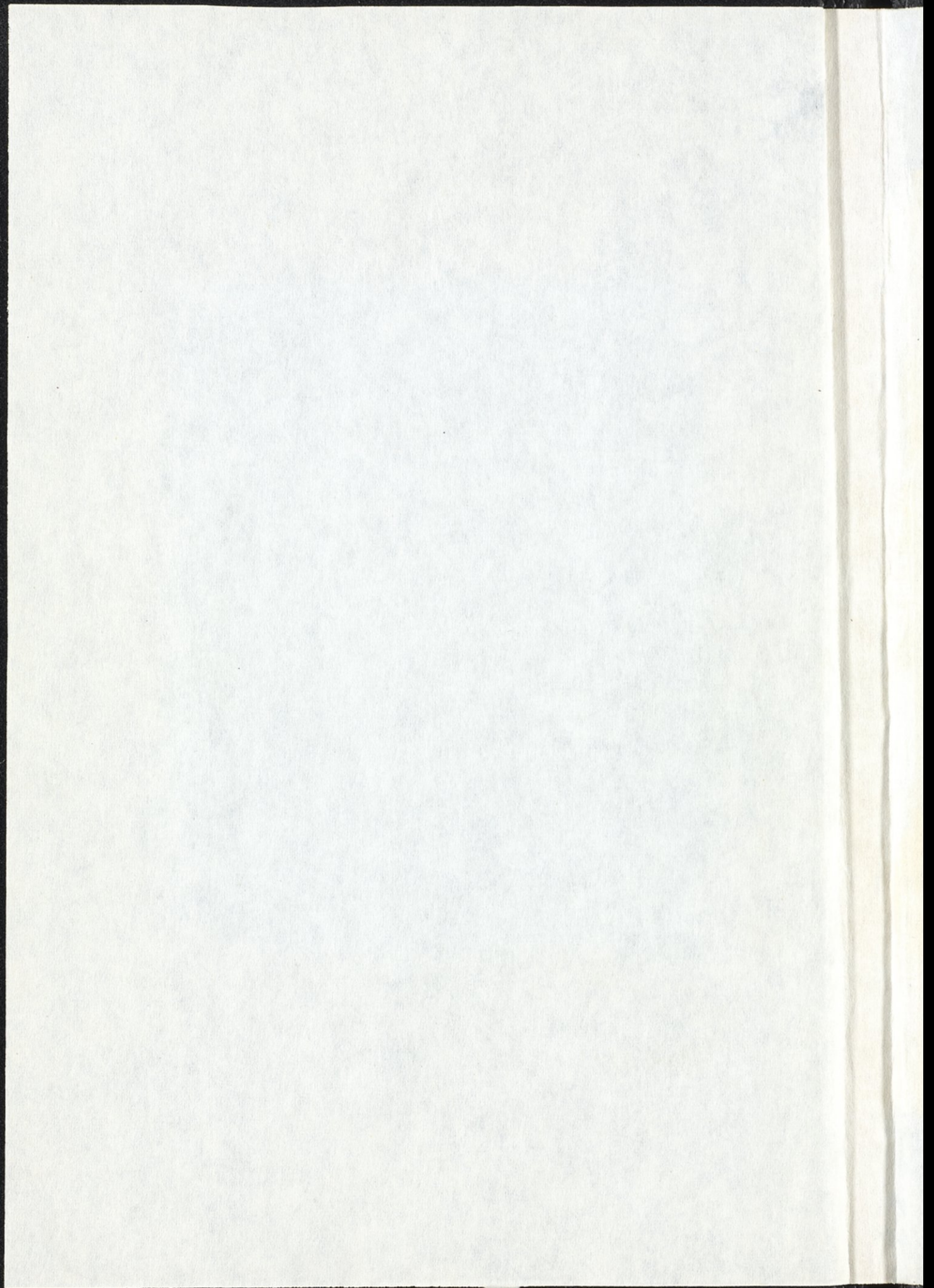


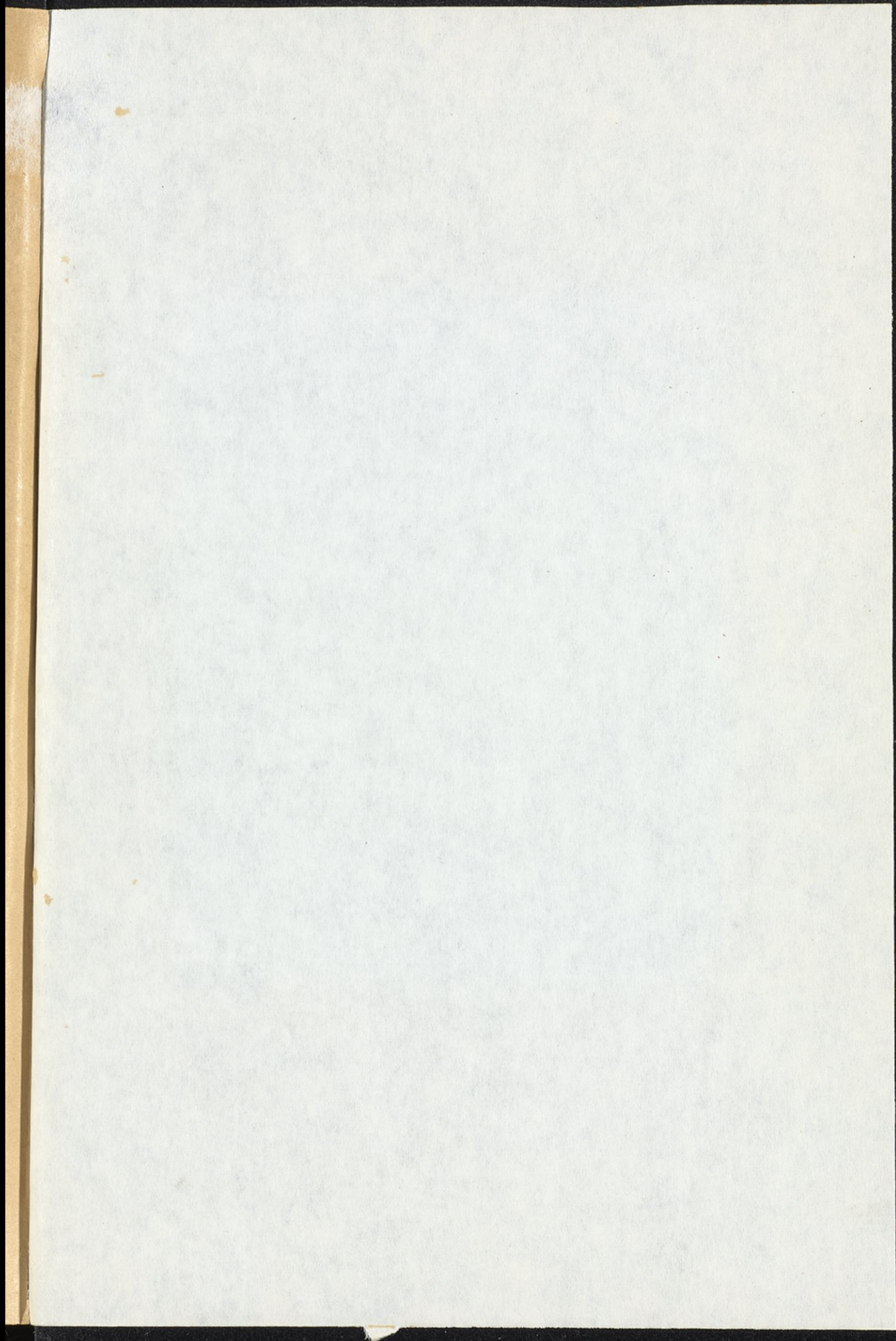
وقائع الحروب



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY





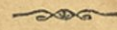
وقائع الحرب

وهي أربع قصائد في تاريخ حرب الروس اليابانية التي نشبت
في ٨ شباط (فبراير) سنة ١٩٠٤ ووضعت أوزارها
في ٥ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٥



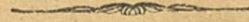
نظمها

فارس الخوري



وأهداها

لصديقهم الدكتور حسين حيدر



طبعت على نفقة الدكتور حسين حيدر



مطبعة الانجمن

بجوار وابور السنيورة بالفجالة بمصر سنة ١٩٠٦

PJ

7842

.H815

W3

عبارة الاهداء

سيدي الاخ الفاضل الدكتور حسين افندي حيدر حفظه الله
كنت قد طلبت اليّ أثناء الحرب بين الروس واليابان ان
أنظم قصيدة أسرد فيها خبر الحوادث التي يتم وقوعها في تلك الحرب
فتكون بمقام تاريخ شعريّ يجمع فيه تفصيل الوقائع الحقيقي مع
وصفها بالاسلوب الشعريّ ، فنظمت اجابةً لطلبك هذه القصائد
الاربع التي أبعث بها اليك في هذا الغلاف وجعلتها هديةً تشهد
بما بيننا من علائق الاخاء وروابط الودّ والولاء واقراراً مني بما
لك من الفضل في تنشيط الادباء والحرص على الآثار . فقد
عرفتك واصفيتك الوداد منذ أمد طويل فما اعترفت بك الاّ
اخلاصاً في الصداقة وغيرهً على الأدب وهمّة باهرة في الدفاع
عن العلم وشجاعة في الجهر بالحقائق وبعداً عن التمجّد والمباهاة
بالباطل فجعلت هذه القصائد على ما تحبّ من الانصاف وعلى
المسلك الذي تعودناه من نبد التقيّة في القول الحق . فذكرت
المُحسِن باحسانه والمسيء باساءته وأنصفت الجميع في تدوين
أفعالهم ، ولعلّ بعض المتشيعين للروس لا يرضى عن بعض آياتها

ويحسب الاعراض عن هفواتهم أولى من التصريح بها . أما أنا
فقد حسبت نفسي بنظم هذه القصائد في مقام المؤرِّخ فلا يجعل
بي السكوت عن شيء مما وقع للقوم من العثرات التي أفضت الى
انصداع ببيضتهم وهبوط كلمتهم في الشرق الاقصى . وغلبهم
اليوم في هذه الحرب قد يكون خيراً لهم ولا ممتهم بما تفتنوا به الى
مواقع الضعف منهم وعرفوا منافذ الخلال في دولتهم فهم يتلافون
النقص لا كماله ويتعبدون الفاسد لاصلاحه . وما كان الله لينحهم
اكتاف فئمة ما هي بالقليلة ولا بالباغية ، ثقاتهم في عقر دارها
وتدودهم عن حوضها وتحمي دونهم حوزتها ، وتعلم أنها ان لم
تُعجلهم عن فريستهم لا يمر كثيره أو قليل حتى تمنى هي بالمحدد
من محالهم وتصبح قافة متضائلة لدى بأسهم وتبقى هكذا في
الرعدة والخوف الى أن يتسع بلعومهم وثقلص قوتها فيسترتطوها
ويضربوا عليها سرادق العفاء آخر الدهر . ولا كان اليابان ليدخروا
وسعاً أو يحفظوا بعزيز في هذه الحرب التي هي الحكم المطلق في
أمر حياتهم وموتهم وهم أسود الشرق الخادرة وكواكب الزاهرة
فلا عار على الروس اذا قنعوا من الغنيمة بالاياب وتركوا لهم بلادهم
وعادوا الى ترميم المتداعي من قوتهم وتقويم المتأود من عدلهم
وانني أترك لك الخيار في نشر هذه القصيدة أو ابقائها في حوزتك

NGF 5-12-75

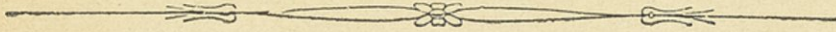
129294

الى ماشاء الله من الزمان . واتخذ هذا التقديم وسيلة لتأيد المودّة
بيننا وتحقيق الاخلاص

كتبه

دمشق الشام في ٣٠ ايلول سنة ١٩٠٥

فارس الخوري



مقدمة

وفيرها تلخيص وقائع الحرب الناصر

اقترحت على صديقي الاديب صاحب هذه القصائد أن ينظم شيئاً من الشعر في وصف هذه الحرب وتأثير وقائعها الخطيرة على التوالي فيكون من ذلك تاريخ منظوم تسرد فيه الحقائق بالاخلاص والانصاف . والذي حملني على هذا الاقتراح هو معرفتي بما تميز به صديقي الفاضل من طول الباع في الشعر وسعة الاطلاع في اللغة وسلاسة الاسلوب في التعبير والاعتماد في المشرب والتحقيق في المعلومات . وتيقنت أن ما ينظمه في هذا الموضوع يكون فريداً في بابه وبالغا من الجودة أقصى المستطاع . فتكرّم بتلبية طلبي وبعث اليّ بعد ان وضعت الحرب أوزارها بهذه القصائد الاربعة . وغب مطالعتها والامعان بما فيها وجدته قد حقق أمنيّتي بل أتاني بأفضل مما كنت أتوقعه . فقد ألمّ بالاسباب التي دعت الى اشهار الحرب ثم ذكر جميع المعارك المهمة التي حدثت فيها على التوالي ووصف كلاً منها بما تستحقه بالنسبة الى ما بعدها وما قبلها فذكر وقعة

يألو بصورة مختصرة ثم زاد قليلاً في وقعة كنشو. وتدرّج في
الزيادة الى حصار بور آرثور ثم الى واقعة لياوينغ ووقعة شاهو الى أن
بلغ الوقعة الكبرى مكدن فأفرد لها قصيدة كاملة وأجاد في وصفها
ما تمكن الاجادة لشاعر وعلى هذا النسق تدرّج في ذكر
المواقع البحرية الى أن وصل الى حوادث اسطول البلطيك
فأفرد لها قصيدة طويلة كما أفرد لوقعة مكدن لانهما كانتا
الفاصلتين في البر والبحر. وأتى على أسماء المعارك والقواد والوزراء
الكبار فصبها في قالب الشعر مع المحافظة على كيفية التألف بها في
لغاتها الاصلية بدون تكلف ولا ابرام. ومع التزامه سرد الحوادث
التاريخية وذكر الاسماء فقد أحسن كل الاحسان في فصاحة
الالفاظ و بلاغة التركيب وسلاسة البيان وتحامى التقديم والتأخير
وتجانب عن الجوازات التي يرتكبها اكثر الشعراء للضرورة فجاءت
قصائده كأنها نثر منسجم مرسل تدرك معانيها على سموها وبعد
مراميها بدون أقل اعنات للفكر أو اجهاد للروية. وفسح للانفعالات
النفسانية والتخيلات في الوصف مجالاً رحباً في تضاعيف الايات
ومزج التقرير التاريخي مع الخيالات الشعرية بحيث لم تعد منظوماته
تاريخياً مجرداً ولا وصفاً شعرياً مفرداً بل جمعت بين الاثنين
وهذا أفضل ما يوتى به في مثل هذا المقام فانه لا يجوز لشاعر ان

يقتصر في شعره على ترميز الحقائق المجرّدة وتدوين القضايا العلمية
بالكلام الموزون لان هذه القضايا التعليمية هي من خواص النثر
وهو ان لم يجعل لشعره حظاً كبيراً من التشبيه والاستعارات
والكنايات والمعاني المجازية والاختصار في التعبير لا يكون منظومه
شعراً. أما شاعرنا فقد جعل الغايتين تجريان معاً في خلال شعره
جري الماء في العود

وقد ألمّ باكثر الاغلاط الفنية التي وقع فيها الروس فكانت
سبباً لفشلهم وانتلابهم امام عدوّهم من ذلك عدم تأهبهم قبل
الحرب واطمئنانهم في بور آرثور ليلة الهجوم الاول « كأن الحرب
لم تبعث نذيراً ». وتفريق الاسطول في بور آرثور وشملبو
وفلاديفستوك وغيرها. والشقاق الذي وقع بين الوزراء والقواد
منهم فصار الكسيف يسعى بكور بتكن وسكريدلوف يقاوم مكروف
وكثرت الاحزاب في بطرسبرج. وجهلهم مقاصد طوغو من
استدراج مكروف الى الخروج من بور آرثور. واحنقارهم أمر
عدوهم لقماءته وصفرة وجهه فلم يعرفوا قدره حتى وقعوا في براثنه.
ووقوف كور بتكن في لياوينغ واصرارهم عليه بالمناجزة لنجدة
بور آرثور حتى حملوه على انفاذ البارون ستا كابرغ ليصرعه العدو
ويفقده معظم جيشه. وتراخيهم في مكدن حتى أوشك عدوّهم

يدور بهم ويمنعهم الرجعة فتركوا الدفاع وركنوا الى الهزيمة قبل
أن يكمل الالتفاف . وعزل كوربتكن من القيادة الكبرى مع أنه
أخلص قوادهم وأصبرهم وأعرفهم بالفنون الحربية . وخطأهم في
تجهيز اسطول البلطيك وتسليمه الى جند معظمهم يجهل أصول
البحارة ويكره المسير الى هذه الحرب وقد فهم به الى تلك الابعاد
الشاسعة وهم غير واثقين من مقدار قوته واستطاعته منازلة العدو .
وتعرضهم لهبوب طوغو من عرينه في مضيق سوشيا الذي هو
وازعه ومجال سفنه وله ولرجاله فيه خبرة كاملة . وعدم تمرينهم
جنودهم البحرية في رمي الكرات حتى كان جهلهم في احكام
المرامي سبباً لامحاء أسطولهم . واعنادهم بقوتهم كل مدة الحرب
والتصریحات الكثيرة التي دلت على كبريائهم وليس وراءها ما يكفل
لها السلامة . واهمالهم امر الجنود حتى جعلوهم عبيداً يقاتلون احراراً
ولم يبخسهم حقهم في بعض المواضع التي استحقوا فيها الثناء
من ذلك اصالة الرأي في تسليم القيادة البحرية لمكروف والبرية
لكوربتكن فكلاهما بطل حازم وقائد باسل . وصبرهم في المعارك
جميعها صبراً يليق بهم وبيدساتهم المعروفة . وبعدهم عن الجبن
والخوف وثباتهم في الدفاع عن بور آرثور وبقاء عزائمهم حتى بعد
اندحارهم في مكدن . واقتحامهم تلك الشدائد في سفر أسطول

الباطيك . وسداد الرأي في انتخاب ديويت لمجلس الصلح .
واتصارم على خصمهم في ميدان السياسة والدهاء فخرموه ثمرة
انتصاره . واعنذر عنهم في كثير من المواقع التي خسروها من ذلك
بعدم التكافؤ بين مكروف وطوغو حيث قال

ولكن قلما عددٌ قليل يفوز ويغلب العدد الكثيرا
وبالا كراه في جمع الجيش لامداد كور بتكن فاعنذر عنه على
انكساره في مكدن بقوله

وما هو فاعل في حرب قوم = يرون الموت في ذي الحرب دينا
أتوها طائعين وما لديه سوى من أقموها مكرهينا
وعاد فذكر مثل ذلك عند الكلام على تجهيز أسطول
الباطيك فقال

جند أتوها لا الفراق عليهم سهل ولا ورد المنيّة طيب
رجل يقدم رجله ويردها فيساق كرها أو يجبر ويضرب
ومتى كانت هذه حالة الجندي من الكراهة للحرب والنفور
من اقتحام غمارها فلا جناح على القواد اذا خسروا المواقع
وتقهقروا بانتظام أو بغير انتظام

وقد وضع الالفاظ في مواضعها وأجاد كل الاجادة في انتقائها
فليس هناك قافية ركيكة ولا لفظة غريبة ينفر منها الذوق ولا كلمة

عامية ينكرها أساطين اللغة ولا كلمة أتت حشواً لاقامة الوزن .
فجاءت الكلمات الرقيقة السهلة في ايراد الخبر واردة تحريك عواطف
الشققة والالفاظ الجزلة المفخمة في وصف الوقائع وبيان أهوالها
وفي هذه القصائد غير ما ذكرت من المزايا التي يعرفها رجال
الادب ويقدرونها قدرها . وكنت أودُّ نشرها منذ عقد الصلح
وبعث اليّ ناظمها بها ، غير ان الشواغل من جهة واحندام حرارة
الاحزاب في ذلك الوقت من جهة أخرى حملتني على ارجاء الامر
وتسويق النشر . أما اليوم وقد بردت جمره التشيع وسكنت
نائمة الاحزاب وصار الناقد الخبير يفرق بين الحق والباطل بدون
ان تتصرف به وتسيطر على عقله النعير السياسية والاميال المذهبية
فلم يعد لديّ ما يمنعني من ان أرفها الى الادبيات العربية عروساً
ولأدها العقل وهذبها العلم وجلاها البيان والسلام على كل من
قال الحق

ويليق بنا في صدر هذه القصائد ان نأتي على ملخص وقائع
هذه الحرب في جملة مختصرة واليك نصّها :

بعد ان فتح اليابان بور آرثور وانتشرت جيوشهم في كوريا وجزء
كبير من منشوريا في حربهم مع الصين سنة ١٨٩٤ وكانوا على
ان يتمتعوا بفوائد جمّة من ذلك الفتح صمد لهم ثلاث من دول

أوربا العظمى هن روسيا والمانيا وفرنسا وأرادوهم على الانسحاب من المواقع التي احتلُّوها وفادوا فيها بأرواحهم . وعلى أثر انتهاء تلك الحرب سعت روسيا بوسائلها فعقدت اتفاقاً مع الصين مؤداه ان الصين تتخلى لها عن بور آرثور وما يليها من شبه جزيرة لياوتنغ الى مئة سنة . وما وطئت قدم الروس تلك الناحية حتى باشروا اقامة المعاقل والحصون المنيعة في بور آرثور وغيرها من الثغور فصار لهم في وقت قصير قلاع تضارع جبل طارق في القوة وتزيد على أمتن حصونهم في الغرب مناعة واحكاماً ، ثم غنموا فرصة اشتغال الانكليز في حرب جنوبي أفريقيا وزادوا عدد الحامية التي أقاموها لحفظ الخط الحديدي وتدرجوا في احلال منشوريا شيئاً فشيئاً حتى أصبحت جنودهم ضاربة في كل نواحيها وكلمتهم نافذة في جميع جهاتها ولم يكتفوا بسهولة منشوريا وجبالها ومعادنها بل طمحت أبصارهم الى كوريا وأخذوا يعتدُّون الذرائع لتوسيع نطاق نفوذهم واعلاء كلمتهم في بلاطها ليسيظروا على معادنها وحراجها وسياستها الخارجية . فقام اليابان وقعدوا لهذا التعدي وعلموا ان لا قبيل لهم بالروس واحلافهم في الغرب فعقدوا مع الانكليز عهدهم المعروف وكان غرضهم منه ان لا يجعلوا لفرنسا ولا غيرها سبيلاً الى معاونة روسيا في حربهم فيقاتلونها منفردة ويياضلون عن استقلالهم

ومستقبلهم بما لديهم من القوة . ثم حملوا دول أوروبا العظمى على
مما لأتهم في ارادة الروس على اخلاء منشوريا فصرح القيصر
انه لا ينوي امتلاكها ووعد بالجلأء عنها في آجال مختلفة . فطالت
مدّة المراسلات والمباحثات في هذا الشأن والروس يضيفون الى
قوتهم البحرية والبرية في الشرق الاقصى واليابان أيضاً يستعدون
للقتال . وأخيراً أبى الروس قبول البحث مع اليابان بمسألة
منشوريا . وقالوا ان الحق في ذلك للصين فقط وان اليابان لا
تصلح للخصومة في هذا الأمر وأظهروا رغبتهم باحتلال كوريا
أيضاً والحاقيها بدولتهم الواسعة وعلم اليابان انه ان تمت لروسيا هذه
الأمنية أصبحوا هم عيلاً عليها وأصبح استقلالهم معرضاً للخطر
الشديد كل يوم . فأكبروا هذا الأمر وانكروا تلك العاقبة
الوخيمة وأصروا على روسيا بأن تعترف لهم بحق السيادة في كوريا
فأبت عليهم ذلك وعرفوا هم عواقب السكوت فأسرعوا الى تدارك
الخطب قبل تفاقمه والدفاع عن حوزتهم بالسيف والنار وباشروا
الحرب في ٨ شباط سنة ١٩٠٤

وهكذا نشب القتال بين الخصمين في البحر والبر وتوالت
المعارك الواحدة بعد الواحدة وفي جميعها كان يكتب النصر لليابان
فقد احتلوا كوريا أولاً ثم دحر جيشهم الأول بامرة الجنرال

كوروكي فرقة من الجيش الروسي على نهر يالو يقودها الجنرال
ساسولتش وكان هذا الانتصار مشدداً لعزائم اليابان ومنشطاً لقلوبهم
وخابت فيه ظنون الروس وغيرهم من القائلين ان اقزام اليابان
لا طاقة لهم بجبايرة الروس وكانت هذه الواقعة أول مرة التقى
فيها جيش اليابان بجيش أوروبي ولذلك صار اليابان يتيمنون بها
خيراً ويحسبونها من أهم المواقع التي قاموا بها في تاريخ أممتهم . ثم
أنزلوا جيشهم في تاكوشان الى غربي بور آرثور ولواؤه معقود
للجنرال أوكو فصعد على حصون كنشو واحتملها بعد معركة عنيفة
وتقدم منها شرقاً وأقام الحصار على بور آرثور من جهة البر
والاميرال طوغويتولى حصاره من جهة البحر ويضيق الخناق على
الاسطول الروسي اللاجيء تحت الحصون . ثم تولى الجنرال نوجي
الحصار من البر وزحف أوكو وجيشه الى الشمال للانضمام بكوروكي
ومنازلة كوروتكن القائد الأكبر للجيش الروسية في منشوريا
وكان قد بلغ لياوينغ وأخذ في تحصينها واعدادها للدفاع . وقد
حاول كوروتكن مراراً كثيرة انفاذ الجنود لنجدة بور آرثور فلم
يفلح لان الطريق كانت مملوءة بالقوات اليابانية الزاحفة من
الجنوب نحوه وكانت الاوامر تأتيه من بطرسبرج بالاسراع لرفع
الحصار عن بور آرثور فارسل مرة البارون ستا كلبرغ ومعه فرقة

من الجند فوقع في يد كوروكي ودارت بينهما وقعة عنيفة انجملت عن تمزق جيش البارون وهلاك القسم الاكبر منه . وحدث غيرها عدة وقعات صغيرة كان الفوز فيها لليابان . وعند ما مكمت قوات اليابان في جنوبي لياو ينغ وتولى المارشال أوياما قيادتها زحموا كورو بتكن في لياو ينغ واكرهوه على اخلائها بعد معركة دامت عدة أيام فانسحب بجيوشه ومعداته الى شاهو وينطاي فتعقبوه وعاد البأس الى احمراره والضررم الى شراره وكان حظه في شاهو مثل حظه في لياو ينغ فتقهقر الى مكدن أم الحواضر في منشوريا واخذ في تحصينها وتوطيد القوات فيها . وفي تضاعيف ذلك كان الروس قد جهزوا أسطولهم الكبير في بحر البلطيك وبعثوا به الاميرال روجد ستنشسكي لرفع الحصار عن بور آرثور من جهة البحر . فوقف الجنرال اوياما في لياو ينغ وأمر نوجي القائم على حصار بور آرثور بان يسرع في فتحه مهاجمه الفتح من الخسائر فلبج نوجي في زحم الحصون واكثر من الوسائل في أخذها عنوةً والحامية تدفعه عنها بالرخص والغال حتى اذا دخلت سنة ١٩٠٥ ورأى الجنرال ستوسل قائد الحامية اجباط المساعي وخيبة الذرائع عمد الى الاستسلام طوعاً فخرج هو ومن معه من الضباط وعادوا الى روسيا بعد ان أقسموا بان لا يعودوا الى الحرب واستولى نوجي على القلاع والحصون

والذخائر وعلى ما بقي من سفن الاسطول الروسي في حوض
بور آرثور

ثم رحل نوجي بمن معه من الجيش وانضم الى الجيش الكبير
فتقدم المارشال أوياما الى الشمال وناجز كوروتكن في مكدن
فكانت بينهما وقعتها الكبرى المشهورة التي دامت من ٢٥ شباط
الى ١٢ آذار سنة ١٩٠٥ وانتهت بفرار الروس الى خاربين
وخسارتهم نحو نصف قواتهم التي كانت تبلغ ثلث مليون من الجند
أو تزيد. فتطير الروس من قائدهم الاكبر وعزلوه عن امره وأقاموا
عنه الجنرال لينفتش القائد الثاني

أما ما كان من جهة البحر فقد جرت معارك عديدة بين
الأسطول الياباني وعليه الأميرال طوغو والاسطول الروسي
الشرقي وعليه الأميرال ستارك الذي عزل بسبب تراخيه في
الهجوم ثم الأميرال مكاروف الذي غرق على دراعته في وقعة ١٣
نيسان سنة ١٩٠٤ ثم الأميرال ويتوفت الذي قتل في وقعة ١٠
آب سنة ١٩٠٤ وكان قد خرج بالاسطول من حوض بور آرثور
ليخترق الحصار ويذهب به الى فلاديفوستوك فلقية طوغوفي
الجنوب الغربي من كوريا واكرهه على الرجوع الى حيث خرج
وبعد هذه الوقعة بثلاثة أيام التقى الأميرال كاميمورا الياباني

بأسطول فلاديفوستوك وكان قد خرج منها لملاقاة ويتوفت واعانتته
على بلوغها فأغرق له طراداً كبيراً وردّه الى حوضه لاصلاح
المخرّب من بقية سفنه . ثم بعد سقوط بور آرثور لم يعد للروس في
الشرق قوة بحرية ما عدا ثلاث سفن في فلاديفوستوك وأقام
الأدميرال طوغو في مضيق سوشيا ينتظر وصول أسطول البلطيك
الى ان وصل الى المضيق في ٢٧ أيار سنة ١٩٠٥ فتار به من مكمنه
ودارت بينهما معركة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المعارك البحرية
ولم يطل أمرها حتى غرق القسم الأكبر من الاسطول الروسي
وأكره الباقي على الاستئسار فأسر الأدميرال روجدستفنسكي القائد
الأكبر والأدميرال نيبوكاتوف قائد الاسطول الثاني وقتل
الاميرال فولكسام قائد الاسطول الثالث ولم يخسر اليابان سوى
ثلاث نسافات . وكان لهذه الواقعة شأن كبير في تقرير الغلبة لليابان
من جهة البحر وانقطاع آمال الروس من اقبال السعد نحوهم فغمم
الرئيس روزفلت هذه الفرصة وعرض على الخصمين أمر المصالحة
فرضيا بها وأرسل الروس الموسيو ديونيت والبارون روزن وأرسل
اليابان البارون كومورا والموسيو تا كاهيرا للمفاوضة في الصلح الى
مدينة بورتسموث في الولايات المتحدة وبعد جدال طويل نفذت
فيه سياسة ديونيت المعتمد الروسي واستمال اليه رئيس الجمهورية

الاميركية الكبرى أبرمت عهدة الصلح ووقع عليها قيصر الروس
وميكادو اليابان في ١٥ أيلول سنة ١٩٠٥ . وخلصتها الاعتراف
بسيادة اليابان في كوريا واخلاء الروس منشوريا وحلول اليابان
في بور آرثور وشبه جزيرة لياو تنغ واقتسام الخط الحديدي الروسي
في منشوريا بين الروس واليابان وتخلي روسيا عن نصف جزيرة
سقالين لليابان مع بعض شروط أخرى ليست بذات شأن كبير
وهكذا انتهت هذه الحرب التي رفعت اليابان الى رتبة الدول
الكبرى وبترت آمال الاوروبيين في الشرق الاقصى وأدخلت
في تاريخ العالم المتمدن جماعات الشعب الاصفر الذي هو عازم
اليوم على ان يقيم لنفسه معدّات القوّة ويكبح أطماع المعتدين
من الخارج

كاتبه

الشام في ٢٩ نيسان سنة ١٩٠٦

حسين حيدر

حرب الروس اليابانية التي أشهرت

في ٨ شباط سنة ١٨٩٤

(١)

اشهرار الحرب

أقلُّ شرارة تغدو سعيرا اذا الأَطَاعَ أفعمت الصدورا
على منشوريا الابحاث صارت الى نار الوغى ساءت مصيرا
جدالٌ أيقن اليابان منه بأن الروس مُضمرةٌ شرورا
تحاول في الجواب وكل يوم تروغ لتحشد العدد الغفيرا
وما خشيت من اليابان حرباً ولا خافت رَحاها ان تدورا
رأت في نفسها جاهاً عظيماً وعدت خصمها شعباً حقيرا
الى أن هاجت اليابان غيظاً وفي هيجانها دعت السفيرا

(٢)

الوقعة البحرية الاولى

امام بور آرثور في ٩ شباط سنة ١٩٠٤

فأقلع نحو بور آرثور طوغو بجنح الليل متخذاً ستورا
رأى أسطول روسياً أميناً طروب النفس مغترّاً قريرا

وقوَّادُ الدوارع في صفاء
قُعودٌ عن وظائفهم نيامٌ
فأرسل من نواسفهِ عليهم
فدكت من بوارجهم بروجاً
وعادت تحمل البشري لظوغو
هي اللذات في يوم الوغى لم
وأفراح يديرون الخمورا
كأن الحرب لم تبعث نديرا
وقد عدت المحافظ والخفيرا
وشقت في دوارعهم ثغورا
ليجني من مكايده سرورا
يفز أحده بها إلاَّ الجسورا

(٣)

وعيد الروس

غدا اليابان في طرب وبشر
وقال الروس لليابان ختم
غدرتم قبل شهر الحرب لوئماً
شبيتم نارها خنعاً وجيناً
سنجزىكم على ما قد فعلتم
غدرتم في البحار بنا وانا
صفت لكم المسرة فاغتموها
فاننا سوف نقدفكم بجيش
ونعمل في كتابكم سيوفاً
وقد طفحت جزائرهم جبورا
أمير البحر كان بنا غدورا
وما أسأرتم للصلح سورا^(١)
وما سمع الجنود لها نفيرا^(٢)
ونحتز الترائب والنحورا^(٣)
نعاقبكم اذا جئنا البرورا^(٤)
فليس صفاؤها إلاَّ قصيرا
يصم ضجيجهُ الشري العبورا^(٥)
بها نبري المناكب والخسورا

فويلكم اذا انتقضت عليكم سرايا الروس تطلب الثؤورا^(٦)
فيصبح ما جمعتم من جيوش ثعالب في الفلا سمعت زئيرا

* * *

وعيد جله صوت جهور^ه ومن ذا يرهب الصوت الجهورا
ذوات الناب ليس تضر شيئاً اذا صخبت واكثر الهريرا^(٧)

(٤)

هبوط وارتفاع بين المقربين في بطرسبرج

ألكسيف الامير تنقصوه وقالوا انه ابدى قصورا
فلم يك عارفاً قدر الاعادي ولم يك في تأهبهم خبيرا
وفرق جنده برآ وبجراً ولم يجعل لعدته جميرا^(٨)
فسام بجهله الاوطان خسفاً وجر بطيشه حرباً زجورا^(٩)
لكوروتكن الآمال مالت ليصلح في درايته الامورا
عليه القيصر انعقدت مناه وقال عهدتك البطل الغيورا
فقد جيشي وأدب من عصاني ومن اعدائنا اقتلع الجذورا
الى منشوريا أسرع فاننا جعلناك المدبر والمشيرا
تدبر في الشؤون وكن حكماً فقد وليت من عملي خطيرا
ويا مكروف سر للبحر واجبر بمحكمتك المخلع والكسيرا
أدر أسطولنا بسداد رأي فملك مستحق ان يديرا

وأنت منازل خصماً لدوداً فان دَهتِ الشدائدُ كن صبورا
أقتكما بدار الحرب عني لساحتها بحفظ الله سيرا
بجزمكما لنا أمل وطيد تعزَّان الرعية والسريرا
دنا ديويت بعد البعد منه لبيت المال أرجعه وزيرا
ولامسدرُفُ نال لديه حظاً وصار له المشاور والسميرا
تبدلت السياسة واستعادت لها من كان منبوذاً صغيرا
وذي حالُ الملوك فلا خمول يدوم على الوزير ولا ظهورا

(٥)

نكتة الروسي بفرق الاميرال مكروف على الدارعة بنزوبالسك

في ١٣ نيسان سنة ١٩٠٤

سعى طوغو على مكروف يوم ال لقا وأعدَّ تديراً مريرا
أقام له الفخاخ بكل وجه يؤججه بها ناراً حرورا
وناصبه بعرض البحر حرباً فكرَّ عليه لا يخشى نكيرا
أثارته الشهامة عن عرين ويأبى الليث الا ان يثورا
فقاتله وناضله بقلب يريه كل معتاص يسيرا
ولكن قلما عددٌ قليل يفوز ويغلب العدد الكثيرا
تدفقت الكرات عليه حتى رأى في الكرِّ موقفه مُبيرا (١٠)
فدار الى الخليج يريد أمناً وكان بواره في ان يدورا
مضى يجناز فوق فخاخ طوغو كملاح يحاذر ان يجورا

الى ان شقت الغمرات فهاً
فشاهدت تحت اخمصه جحياً
كأن جهنماً وجدت سبيلاً
كأن هناك بركاناً تلظى
كأن البحر غضبان عليهم
طوى بضميره حنقاً فلما
هوت فيه السفينة في خليج
على مكروف قد بكت البواكي
ففاض له بأرض الروس دمع
بمصرعه عزوم الروس خارت
رجاء القوم معقود عليه
أميرهم وعند أشد ضيق
فكان بهديه قرآً مضيئاً
وان الروس لا يسلون عنه
وأصعدت البلايا والسعيرا
وقد فتحت قذائفه حفيراً (١١)
ومطوياتها لقيت نشورا
وأطلق في الفضا ناراً ونورا
لما جرّوا على الدنيا شرورا
دنا مكروف كاشفه الضميرا
وكانت قبل تخترق البحورا
وأطلقت المدامع والشعورا
يؤلف لو يضمّ معاً غديرا
وحق لها بذلك ان تخورا
ليدفع عنهم الخطب العسيرا
يراد لكشفه فقدوا الاميرا
وكان بكره أسداً مزيراً (١٢)
ولو وجدوا له فيهم نظيرا

(٦)

الوقعة البرية الاولى على نهر يالو

في ١ ايار سنة ١٩٠٤

أقام الروس في يالو قلاعاً على تحصينها صرفوا شهورا

مسيلُ النهر دونهمُ فظنوا ال
ومن خاض البحور الى الاعادي
مشى اليابان لا يخشون بؤساً
بجيش كل من فيه جريءٌ
وصبوا من مدافعهم كراتٍ
لئن صبرت جيوش الروس شيئاً
وأبقت من ذخائرها زناً
ولليابان في الآثار شد
أتوا أنظنغ بالرايات حتى
لعمرك ليس يحمي السورُ مدناً
فهل حدثت في أخبار دلي
وما قد أنفقوا عملاً ومالاً
أباحوها الى اليابان غنماً
ولا عجبٌ لمخالك مدلٌ
إذا غفل الرعاة عن المواشي
وان الخاشع اليقظان يكوي
كذلك من توخى البغي متناً

مدى لا يستطيعون العبورا
أيأبى ان يخوض لهم نهورا
وماءُ النهر يكتنف الصدورا
تمنى للاعادي ان يطيرا
يفلق عزمُ صدمتها الصخورا
فبعد هنيهة ولت ظهورا
ومن أعنادها شيئاً كثيراً (١٣)
فكم قتلوا وكم أخذوا أسيرا
على أسوارها خطرت خطيرا
اذا عدت من التديير سورا
وما شادوا بساحتها قصورا
على المرسي وكيف جرى أخيرا
وما نالوا على نصب أجورا
اذا أخلى الحواضر والثغورا
فمن ذا يدرا الأسد الهصورا
بجد حسامه البطل الفخورا
تراه بدون ميثرة عثورا

(٧)

وقعة كَنَشُو

وكنشو بالمدافع منعوها
وظنوا انها تبقى طويلاً
أغار الخضم منقضاً عليها
الى ان كوروا القتلى تلالاً
رأوا ان العدو يموت طوعاً
ومن رغب المنية وانتحاهها
بدا للروس ان الفتح دان
فولوا تاركين على الروابي
لقد شمخوا على اليابان لما
وقالوا سوف نطحنهم فتعدو
ولكننا على يالو وكنشو
فعرض الجسم لا يغني فتيلاً
ألسنت ترى الوليد وفيه حزم
رهُامُ الطير تنخلع ارتباعاً
وولوا حفظها جيشاً كبيراً
وثبتت في خفارتهم دهوراً
ونار الروس تكتسح المغيرة
وأوشكت المعادل ان تمورا (١٤)
ولا يأبى التقحم والكرورا
بيت عدوه عنها نفورا
يغذُّ فلا معين ولا مجيرا (١٥)
ذخائرهم لاعداهم نصيرا
رأوا جنديهم قزماً زميرا (١٦)
قبورهم الضواري والنسورا
وجدنا القول بهتاناً وزورا
وطول القد لا يجدي تقيرا
يسوم الفيل خسفاً والبعيرا
اذا رأت البواشق والصقورا

(٨)

حصار بور آرثور

لبور آرثور باليابان طارت
وجيشهم تمنى الموت طوعاً
فكم آلوا وكم حلفوا يميناً
وقالوا سوف نُجلى الروس عنه
وبين ضلوعهم شوقاً إليه
أتوا درب الحديد فخربوه
أقاموا حوله جيشاً كثيفاً
وكانوا في تهالكهم عليه
وأصلحهم حماة الحصن ناراً
حماة ان سفت للموت ريحاً
وان تُرعد كرات النار فيهم
يطيب لذوقهم ماء المنايا
على النارين قد صبروا طويلاً
فنار البرّ حامية تلظت
أمير البحر طوغو كم توخى
قلوبهم وفارقت الصدورا
ليفتح ذلك الحصن الشهيرا
ولالأوثان كم نذروا نذورا
ولو كان الزمان لهم ظهيرا
اظلى يُغلي المراحل والقديورا
كما نسفوا المعابر والجسورا
به مالأوا السهولة والوعورا
نموراً في الوغى لقيت نمورا
تعيد حديد قوتهم صهيرا
مزعزعة تكون لهم زفيرا
تجد آذانهم منها هديرا (١٨)
فان وردوه لم يرضوا صدورا
وباع الهاجمين غدا قصيرا
ونار البحر لم تعرف فتورا
يقيم بمدخل المرسى سكوراً (١٩)

فيأمن صولة الأعداء بجرأ
فأبسل من أطاع الى هلاك
وحاولها من المرات عشراً
ألحوا في حصار الحصن حتى
قلوب الروس قد هلعت وخافوا
يهاجمه العدو وليس يجزى
تخر أمامه الأبطال صرعى
ألف حوله لقيت حتوفاً
حصار ليس في التاريخ منه
فلا الاسكندر الرومي ألفى
ولا سبيو أصاب بقرطجناً
وفات الفاتح السلطان شبه
إذا أسطولهم منيع المرورا
وأحلس جنده الخطر الضبيرا^(٢٠)
فأخفق سعيه ولوى خسيرا
لدى كراتهم بلغ الشفيرا
على الحصن التداعي والخرورا
على هجماته الا دحورا
وتشبهه في تطايرها الشكيرا^(٢١)
ألف ضمنه نزلت قبورا
ولا تقل الرواة له نظيرا
كهذا النضح يوم أحاط صوراً
دفاعاً رده عنها ضجورا
لهذا حين خاض البوسفورا

(٩)

خطاب الى الحامية

حماة الحصن تقرأكم سلاماً
لئن ضيقم صدر الأعادي
وان لانت قناة العزم منكم
يحمل في حواشيه عبيرا
فما وجدوا بكم صدراً حصوراً
فذاك مع الشجاعة لن يضيرا

صبرتم في المضايق أي صبر
وخلدتم لكم ذكراً منيراً
إذا التسليم لطحكم بعار
فظول ثباتكم يبقى طهوراً

(١٠)

انصرع شأن الاسطول الروسي

في ١٠ آب سنة ١٩٠٤

فلا ترجوا من الاسطول نصرًا
فذلك عاجز عن أن يُجيرا
حمته حصونكم زمناً طويلاً
ولولاها لأكره أن يغورا
أحيط به فكيف أدار يلقي
بوجهته من الجمرات كيرا
يرى بحراً بما دسوا وطيساً
وجوّاً من قذائفهم مطيرا
سرى من حوضه والليل داج
ينكبُّ عن دوارعهم قرورا
فشت أخباره فتسموها
وفي آثاره جدوا المخورا
فأدركه بعرض البحر طوغو
ولجّ به ليورده الدمورا
أقام لديه سداً من ضرام
وأرجعه شتيتاً مستطيرا
تفرق في المرافئ مستغيثاً
وفي عرض البحار غدا نثيرا
غدا لانجدة منه ترجى
ولا سعيّاً يفيد ولا صفيرا
وأسطول أفلايفستوك لاقى
فجائعه على يد كاممورا
أتى ليعير نجدة أخاه
فأزعجه العدى عن ان يعيرا
فساواه وشرط أن يساوى
سجير عند نكبته السجيرا (٢٣)

(١١)

وقوف كوروتسكيه في لياوينغ

رجوتم كوروتسكين يفتديكم
وذاك مخيم عنكم شطيرا (٢٤)
قد استصرختموه لا سميعاً
يمد يد المعين ولا بصيرا
أتى ليجيركم لما لجأتم
لنجدته فأصبح مستجيرا
يراكم في المآزق وهو لاه
يكفكف عن جوانبه الدثورا (٢٥)
عدا أوكو وكوروكي عليه
ومداه من الابطال طورا
يعب عليه بحر من حديد
يسير له ويمنعه المسيرا
ففي اليوينغ قد ألقى عصاه
وعن سبل النجاة غداضيرا
أيقحمهم وليس الموت سهلاً
ولا كيد العدى شيئاً يسيرا
أيقفل راجعاً والروس طراً
تراقب أن تراه مستغيرا
أقام بموقف حرج وأعيت
مكايده القواطع أن يشيرا
فلا تنحوا بتنديد عليه
فما هو قاعد عنكم قديرا

(١٢)

ارتداد الجيش الروسي بعد وفاة لياوينغ

في ٢ ايلول سنة ١٩٠٤

وبطرسبرج تأمره بحرب يرى اضرامها رأياً فطيرا
تربص في معسكره شهوراً بها يستقبل المدد الغزيرا

الى أن كرز أوياما عليه فلم ير من نزال الخضم بدأ فواقعة بحرب كان فيها تلاحت الجيوش بكل واد تغور مراجل الاضغان فيهم ولانيران السنة تؤدي كأن هزيمها صعقات رعد وللقواد من حذر رموز يناقض بعضها في النص بعضاً وللكهان أصوات تنادي فكم بسطوا الكف الى الاعالي بأيام أصاب الروس منها ولاح النصر لليابان غصاً وأصلاه من الهيجا هجيرا وان كان الرجاء به نديرا ضعيف القوم فراساً بسورا (٢٦) واكثر التحمس والنعيرا (٢٧) وتضطر الدماء لئن تفورا حديث ضغائن ملاء الضميرا وقد عقدت على الاجبال مورا (٢٨) مشوشة تبلغها الزمورا وينسخ آخر منها الأخيرا وتبلغ عرش ربهم الجؤورا (٢٩) وكم ضرعوا وكم حرقوا بخورا أن انسحبوا يولون الظهورا وطلعتهم هم سفرت سفورا

(١٣)

انتصار اليابان في معركة شاهو وتقهقر الروس الى مكدنه

في ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٠٤

لشاهو أوفضوا فتعقبوهم وعاد البأس مضطراً حرورا (٣٠)

تولى مهجة الاجناد ضرب به ندرت سواعدهم ندورا (٣١)

تري للعين من حنق شراراً
وللارواح من جزع غياباً
تمنى الجيش لو كانوا خِشاشاً
ولو كان الخيار لهم بمتن
تمنى الروس لو خلقوا إناثاً
اذن ولي الرجال النضح عنهم
وقد حسدوا الشيوخ على مشيب
وقد لعنوا الحروب وخائضيهما
وقالوا ليتنا كنا ائحدا
ألا رُحم امرؤ حرّ شجاع
وقُدس سرّ سلطان تنحى
وليت سقوطنا يجدي بنينا
فلم يصبر على موت زوام
عدوّ الروس كان أشدّ صبراً
فخلوا حوزةً كانوا عليها
وعادوا نحو مكدن بانكسار
فهل في كوربتكن ما يرجى
وما زالت سياسته انسحاباً

والاسنان من ألم صريرا
وللاشلاء من عجز حضورا
اذن ولجوا المَخَافِر والوكورا (٣٢)
ضمين للنجا اختاروا الطيور (٣٣)
وسبوا اليوم اذ ولدوا ذكورا
وهم لزموا المنازل والحدورا
كما حسدوا المشوه والصغيرا
ومن أضحى لجرتها مشيرا
وقاتلنا المسبب والمشيرا
يجاهد مأكه أو يستشيرا
تفرده وقال الامر شورى
يعلمهم الى السيف النفورا
سوى من كان مقداما ذميرا (٣٤)
على موت يجرعه قريرا
حراصاً ينثرون بها البدورا
وشاهو للعدو غدت جميرا
ومنه الارض قد شغرت شغورا
يقاتل مكرها قلقاً ذعورا

(١٤)

عود الى خطاب هامة بور آر تور

فغير سيوفكم لم يبق منج
ومن هذا يعيركم بجبن
وأتم في الكريمة قد حسبتم
فلو أذعنتم من بعد هذا
فليابان كرات لديها
إذا ما كان طعم الموت مرّاً
وهذي الحرب عندهم جهاد
يكرّ على المعامل مستميتاً
ومشجرُ النصال له نعيم
ويقنع من مشاربه بنشج
ومن سينة الكرى يرضى غراراً
له عند أحرار البأس جأش
فما هو ناكل في الروع خوفاً

يفرّج عنكم الويل الدهيرا
ويلحقكم شناراً أو دخورا (٣٥)
حياض الموت منبجساً نميرا
وجدتم كل ذي نصف عذيرا
يعود الجاحد الناسي ذكورا
فهم يجدونه عسلاً مشورا
يموت بها مجاهدهم شكورا
ويقتحم المنية مستخيرا
يجمش فيه ولداناً وهورا
ويأكل بلغة كي لا يضورا (٣٦)
على تعب ويفترش الحجريرا
يدلّ به السبيل المستنيرا
ولا هو فاقد فيها الشعورا

(١٥)

تسليم بور آرثور

في ١ كانون الثاني سنة ١٩٠٥

لديهم صار بور آرثور دكا
ولج الضيق بالاجناد حتى
ببضعة أشهر فنيت حصون
حصون كالجبال الشم عزت
حصون في الذرى شمخت وعنها
ثلثم جلها بكرات نار
نذيراً بالسقوط اذا تلتها
اذا ما اتقض هاجمهم لفتح
كان بواصل اليا بان عطشى
كانهم اذا هجموا شحاح
رأى استسل الحصون تخرصرعى
فسلمهم بقاياها اضطراراً
وملكهم ذخائره جميعاً
وبعد ان استقل الروس فيه
قصوراً كالنجوم الزهر تزري
وداعي الفتح يعلنه الثبورا
غدا أمضى حماة البور بورا (٣٧)
أقاموها لكي تفني العصورا
مشارفها غدت للأسد دورا
يعود الطرف منكسراً حسيرا
تساق أمام قاذفها نذيرا
جيوش كالفراش تؤم نورا
ففتح أو فصرعه أستحيرا (٣٨)
بيطن الحصن قد سمعوا خريرا
نثرت امامهم ذهباً أثيرا
ويوم الفتح أوشك ان يزورا
برمتها المثلم والعميرا
وصار البور لليا بان بورا
وشادوا في مرابعه القصورا
بروتقا الخورنق والسديرا

علا أسوارها علم المِكَادو
لروسيا استطار البرق ينعى
بشيراً أنهم صرعوا الأمانى
فأرّخ رأس جيش الروس غلباً
ونوجي في الديارِ غدا أميراً
ولليابان وافاهم بشيراً
وصاغوا من أهلّتها بدورا
وأرّخ قوم يابان ظهورا
١٩٠٤ (شرقية)

١٣٢٢



القسم الثاني



الوقعة الكبرى في جوار مكره

في ٢٥ شباط سنة ١٩٠٥

(١)

بمكدين كوربتكين لم جيشاً وشاد له المعاقيل والحصوناً
رأى الاعتقاد وافرة لديه فظن مقامه حرزاً حصينا
ولكن رأي أوياما أراه أموراً خيبت تلك الظنوناً
أقام له المرآصد في الصياصي وبين جفونه بث العيوناً (٣٩)
تخبره بما أصطنعوا دفاعاً لحوزتهم وكيف يدبرونا
أعد الخطة المثلى ليوم يروع حر أزمته السنينا
ورتب للهجوم عليه رأياً يكون لمجد رايته ضمينا
وهز جناحي الجيش التفافاً على أعدائه المتحصنيننا
رمى اليسرى بكوركي فندزو فأوكو ثم في نوجي اليميننا

(٢)

ودارت للمنون رحي طحون لها الاجساد قد صارت طحيننا
وطبق كل ناحية دخان ككيف أسود يعمي العيوننا

فان سمعته تحسبه طيننا
ولا هو سامع منه الا نينا
وصار السهل من جيش حزونا
تردد المرء شيباً منحنينا
تراهم يظهرون ويختفون
تدفعهم حيارى صارخينا
يحبب خلفه منهم جنينا
رجالاً بالحديد مسربلينا
ويخرج من معاطفه كينا
فليس لهم بها ما يرهبوننا
وموطي رجله أضحى عريننا
وأعطى الحكم ابليس اللعينا
شياطين الشرور مشمرينا
فضائل فاعلوها يفخرونا
أتت توحى التهور والجنونا
تؤيد ما ادعته فيؤمنونا
هزيم يضعضع الجبل المتينا
كأن النار نار جبال سيننا (٤٠)

وصوت القذف أو قر كل أذن
فليس بمبصر أحد أخاه
فصار الحزن من ذلك سهولاً
لو أفتشع الدخان بدت أمور
جيوش كيفما العين أستدارت
كأن الأرض بالابطال حبل
فلا حجر تراه العين الا
كأن حجارها الصم استحات
فلا واد بتلك الأرض الا
كأن عقولهم ذهبت شعاعاً
فكل فتى غدا أسداً هصوراً
كأن الله عن أمر تخلى
ملائكة السلام خلت وأضحى
كأن ردائل القتل استحات
كأن قذائف النيران رسل
تجي من السماء بمعجزات
فما صعقت موسى فوق هذا ال
علي ورع تمجس آل عيسى

كأن المهمل فيها تجلّى إذا ما استقبلوها يسجدونا

(٣)

ومنفجر الكرات يخطّ متناً وتشرح أنصل السيف المتونا
تري كرة تفجر من حشاها وتبعث مع شظاياها المنونا
فكم أيدٍ بها بترت وسوق بها كسرت وكم بقرت بطونا
وكم من أضلعٍ سحقت وعنقٍ بها دقت وكم شقت جبيننا
أحال الرعب لون البيض حتى غدوا بخصومهم متلبسينا
فيومٍ ينقضي ويحيى يوم فلا زار الكرى جفناً كليلاً
مئات الساقطين غدت أوفاً أمرٌ يسيل من نكدٍ شوؤنا
تبيد كتيبةً وتُحلُّ أخرى ولا زارت سيوفهم الجفونا
تري رأساً بلا جسمٍ وجسماً أوف الواقفين غدت مئنا
هناك فتىً يئنّ ولا سمعٌ وقواد الكتاب حارونا
وذلك بالعناصر مستعين بلا رأس يفيض دماً معينا
فأين بنوه لو نظروا أباهم ويجار أن يعان ولا معينا
ألا ويلُمّه لو أبصرته وغير مفيده أن يستعينا
تراه تنوشه الشفرات ضرباً وقد نسي الاقارب والبنينا
فاما طلقة خرقت فوئداً تفيض جراحه دمه السخينا
بلا برّ فتلقيه طعينا (٤١)

واما ضربةً قطعت وتينا (٤٢)

على مدر الثري أمسى جديلاً وفي جوف الطيور غداد فينا (٤٣)

(٤)

أيا من شيعت للحرب صباً وفيها حاملاً منها الفتونا
بكي لفراقها جزعاً وحرناً وكان بسفح غبرته ضنينا
وعندك رسمه أبقاه ذكرى اذا نفعت لعلك تذكرينا
فلو أبصرته والرّوع فاش تذيب خطوبه الجسد البدينا
وأفواه البنادق فاغرات ترش كراتها غيثاً هتونا
ومصلته الحراب مسددات الى الاحشاء تخرق المتونا (٤٤)
والسنة اللهب بكل وجه كأن الارض قد صارت أتونا
وأعمدة الدخان غدت ضباباً به فُعل الشرور يحجبونا
يزود الشمس والافلاك كي لا ترى في الارض ذا العمل المهينا
وأهوال الزحام مروّعات وأبطال الزحام مجندلونا
لكنت رأيت ذاك الجسم طيفاً وذاك الوجه مشحوباً حزينا
رأيت سواد ليمته بياضاً وصفحة خده ملئت غضونا
وكنت نفرت منه وخنت عهداً وأخلق بالغواني أن تخونا

(٥)

ويا أشلاء من باتوا قديماً بأرماس القبور مدقينا
رقدتم في مضاجعكم طويلاً بمكدن مكرمين مبجلينا

لئن أفنت جسومكم قرون^ه
شُرشُ ظُهورها نَدًّا ومِسْكَاً
أَمِنْتُمْ فِي الثَّرَى حَدَثَ اللَّيَالِي
كَذَلِكَ الْمَوْتُ رُاحَةٌ كُلِّ حَيٍّ
جُدُودَ بَنِي السَّمَاءِ أَلَا أُسْتَفِيقُوا
فَمَا قَدْ أَطْبَقَتِ لِلرَّوْعِ رِيحٌ
وَمَا قَدْ أَضْرَمَتِ شُعْلَ الْمَنَائِي

فان رُموسكم تُفني القرونا
ويحرسها بنوكم واقفينا
وهم فوق الثرى متخوفونا
ومن نزل الثرى أضحى أمينا
فنازل الحرب تمنعكم سكونا
تُقصف من ظلالكم الغصونا
وأصبح عزكم ذلاً وهونا

(٦)

مَجَالٌ ضَاعَ فِيهِ الرِّشْدُ حَتَّى
وَمَنْ جَزَعَ بِهِ الْأَرْوَاحُ طَارَتْ
تَوَّءَمُ الْعَرْشِ أَفْوَاجاً فَأُضْحَى
وَسَكَاتِ السَّمَاءِ هَتَا وَقَالُوا
فَهَلْ ضَاقتَ بِهِمْ حَتَّى تَجَارُوا
فِي مَلِكِ السَّمَاءِ أَطِيلَ وَأَرْحَمَ
تَنْجِ بِهِمْ كَأَنَّهُمْ حَدِيدٌ
أَمْرَتَهُمْ بِطَاعَةِ مَنْ تَوَلَّى
وَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا أُتْمِرُوا ذُنُوبٌ
أَنْرِ بَضِيائِكَ الزَّاهِي قُلُوبَ الْ

لقد نسي الخدين به الخدينا
لعرش الله تشكو الظالمينا
ملائكة الاعالي ذاهلينا
شرى في الأرض ماذا يفعلونا
أوفاً للخلود مهروليننا
عباداً في دعائك يجارونا
وأنت جبتهم ماء وطيننا
رقبهم فلبوا طاعينا
فكل الذنب ذنب الأمرينا
ملوك لعلمهم يترققونا

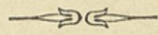
(٧)

هجومٌ من بني اليابان يُبدي
هجومٌ صادقٌ يتلو عليه
يُحَضُّهُ النصيحة بأنهمزام
فحلى مُكْدَنًا وسرى شِمَالًا
وفي خَرَبِين رام له محطًا
وخلف نصف عسكره وراه
وذاق هزيمة لم تحك مثلاً
فسيم مهانةً وانحط شأنًا
ونحوه عن الامر اعتقادًا
وما هو فاعل في حرب قوم
أتوها طاعين وما لديه
تجلد في البلاء وذاق ضيماً
على أعدائه بطلاً شديداً
فحياً الله مظلوماً صبوراً
أقاموا لينفِثش له خليفًا
وبات الناس ينتظرون عقبى الـ
هتاف البشر في اليابان أضحى
لكوربتكرن الخبر اليقينا
حديث منزّه عن أن يمينا
اعل الفرّ يبقى السالميننا
الى تيملنغ ثم الى كريننا
يلمّ رجاله المتشعثينا (٤٥)
قتيلاً أو جريحاً أو سجيننا
لها أهدوثة المتقدمينا
وأصبح بعد عزته مشيننا
بان النحاس صار له قربنا
يرون الموت في ذي الحرب دينا
سوى من أقموها مكرهينا
ودام على شدائده رزيننا
وما بين الجنود أباً حنوننا
وحياً قائداً حراً أميننا
عسى أن السعادة أن يؤؤونا
تبدل ما عساها ان تكونا
يُرد لهم صداه من بكينا

بنصر ساقه قدر عزيز
وقيل الروس أبطال شداد
وقبصرهم أعز فليس يعنو
هم الصعقات في سيفستبول
لئن غلبوا بأقصى الارض يوماً
فبعد الغلب يوم يغلبونا
أتاح لهم به فتحاً مينا
يجوزون المضائق صابرينا
وأرفع شيمة من ان يدينا
على أعدائهم وهم الذيننا



القسم الثالث



وقائع أسطول البلطيك

(١)

تجسس الأسطول

عقدوا بيطرسبرج جمعياتهم
حاروا بنا النحاس الذي أضحي لهم
ما لاح في فلك السعادة طالع
نظروا ملاذ فخارهم متداعياً
فتراوحوا ما بين رأي خائب
علموا بان البحر ان هو دام في
شدوا من البلطيك أسطولا لهم
نثروا بذور رجائهم في قومهم
عقدوا اللواء على السفائن كلها
خرج الامير يخوض في أسطوله
لينال من طوغو رغائب نفسه
وغدت بها آراؤهم تتشعب
كاظل في كل المواطن يصحب
الاغدا بالمنحسات يحجب
وبناء عزتهم يكاد يخرب
وقعوا به فتلاه رأيي أخيب
أيدي العدا فالفوز عنقا مغرب
من ذكره الغمرات كانت ترهب
أملأ بمنثور الأمانى يخصب
لمؤمر هو بالفنون مدرّب
لجج البحار وأين منه المطلب
والنجم من تلك الرغائب أقرب

خرجوا وقيصرهم يشيع قائلاً
ساروا به والرعب حشو قلوبهم
ان لاح فوق الماء ظل سحابة
جند أتوها لا الفراق عليهم
رجل يقدم رجله ويردُّها
هذا ينوح وذاك يبكي يائساً
معكم قلوب جميع شعبي فاذهبوا
مهما بدا في الافق قالوا مركب
هرعوا لحمل سلاحهم وتأهبوا
سهل ولا ورد المنية طيب
فيساق كرّها أو يُجرُّ ويضرب
من راحة الدنيا وذلك يندب

(٢)

سير الاسطول

سفن لطلعتها جمال رائع
فهي الجواري في البحار خضابها
من شامها في السير وهي تغالب ال
فكأنها جزر تكنف سطحها
وكأنها الاجبال طافية على ال
وكأنها ظمن وصوت صفيها
ترمي الى أقصى البلاد ودر بها
ما أمتد جبل من أشعة نورها
ترمي الدخان كأنها جبل الالظي
وعلى متون الغمر مجد مرعب
قار وفي زفراتها تثقب
أمواج يحسب أنها لا تغلب
شم الحصون يغار منها الكوكب
غمرات تخترق العباب وتهب
صوت الرواسم والبحار السبب^{٤٦}
صعب يذلل أو بعيد يقرب
الا انجلي أفق وأفرج غيب
وتجره حتى ثقول مذنب

كانت على متن المياه كأنجم
 قد طال أثناء الطريق وقوفها
 في القبة الزرقاء لا تتغيب
 لم تدر في أي المسالك تذهب
 تسعى الى طوغو لتهدم مجده
 وتعيد مجداً كاد منها يسلب
 تجري اليه وفوهات بخارها
 تنسعي بأبناء الثبور وتنعب

(٣)

وقعة سوشيا

في ٢٧ ايار سنة ١٩٠٥

دخلوا بسوشيا و طوغو رابض
 فكانهم عند الدخول خوارج
 في حوضه وهم الحيارى اللغب (٤٧)
 وكأنه عند المبوب مهلب
 أموا خبيراً بالكريهة عارفاً
 كيف المكاييد والحبائل تنصب
 حول تمرّس بالصعاب محنك
 بطال شديد في الحروب مجرب
 بمضيق سوشيا تخير مَجشماً
 حتى اذا أرف القضايتوثب (٤٨)
 كالليث يأتيه القمضاء برزقه
 وهو المقيم بأرضه يترقب
 لمعت بروقهما فبرق صادق
 في قصد مرماه وبرق خلب
 يرمي الكرات الروس كاذبة وفي
 موعودها كرة العدى لا تكذب
 أضحت على يده تُجرّع حنقها
 ومن الذي دافت سموماً تشرب
 فكانه اذهب فيها ضيغم
 وكان هاتيك الدوارع ربرب (٤٩)
 رالصفراً حمراً بالدماء تخضب
 غدت الوجوه الحمر صفراً والبها

فالبحر من حنقٍ تلظت عينه
والجوّ طبقة الدخان فصار من
حمي الوطيس وكان يوم أسود
يوم له ما بعده من أعصر
علموا غداة لقوه نار بوجههم
ضاق السبيل أمامهم حتى رأوا
ردوا العزائم للهزيمة والذي
ودوارع البلطيق غاص شجاعها
قد أشرقت في الغرب وانبعثت إلى
كالحيّ يبلغ حنقه إذ ينقضي

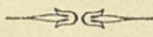
بالنار والدم فهو أحمر ملهب
فرق يصعد وهو أشعث أشيب (٥٠)
مر تسيل به الشؤن عصب صب (٥١)
هو بينها ذيل السيادة يسحب
كيف اللقاء وكيف كان المقلب
أن البحار وراءهم هي أرحب
هربت عزيمته فأنى يهرب
في لجة واستأسر المتهب
أقصى المشارق حيث كان المغرب
بجياته السفر الطويل المتعب

عجبا لأسطول تقاضى مدده
بالامس كان يطوف في خيلائه
واليوم أصبح طاويا منشوره
بهظ المناكب منه كبير رجاله
أضحى من الالغام فوق جهنم
تبا لها حربا تفحل جورها

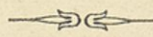
عمل السنين بنصف يوم يخرب
وأميره يرنو إليه ويعجب
يهوي إلى ظلم الخضيض ويرسب
أخلى بمهوظ المناكب ينكب
ومن الكرات عليه وبل صيد
هلك البري بها وعاش المذنب

عجب الانام لشدة الغلب الذي
ذاقوا ولو غلبوا فذلك أعجب

فتغلب اليابان فيه غرابة
هجموا ولا علم لهم بخصومهم
من ذا يغول الليث وسط عرينه
نصبوا حبالهم وقد وقعوا بها
لكن جهل الروس أمر أغرب
ماذا أعدوا للدفاع وأبوا
الا الشقيُّ الغمرُ من لا يحسب
ان الظلوم يصاد في ما ينصب



أنى تمزق ذلك الأسطول بل
من قوّة ناء الخضمُّ بحملها
بل أين وعدُّ الروس أين وعيدهم
ركبوا من البغي الوخيم حقائباً
ما كان في الأسطول الأغرّة
فهوى والأستبداد كان رفيقه
أين الذي نسبوا إليه وأطنبوا
مثاقلاً وأرتج منه المنكب (٥٢)
أين الفخامة والجلال المرهب
فرس البغاة حقيقة لا تنجب
وخيانة وظلامة وتعصب
وفساد روسياً كذلك يصحب

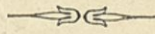


عرفوا بان الظلم ليس بغالب
والمستبدُّ المستجيش عبيده
أيفوز مهضوم الحقوق بمن لهم
ظفرُ الذي أعناده جهل بمن
فالعلم منصور اللواء مؤيد
والعدل ليث عاصم لجواره
عدلاً ولا صدع التعسف يشعب (٥٣)
ان نازل الاحرار لا يتغلب
حرية بصدورهم تثلب
اعناده علم رجاء مجذب
والجهل مشقوق الجبين مخيب
والظلم خيّم ان تعرض ثعلب



نصر به اليا بان تم حبورهم
طرب الصديق به وغص بغيضهم
فيه من المجد الفخيم غدا لهم
أما ديار الروس فارتدت الاسبى
نحبوا على أسطولهم ورجاهم
دحر الذي قد جيشوا وهوى الذي
خضدت مناخسهم وفيل حسامهم
كثرت شكواويهم وقالوا خانهم
ذو الحزم يتخذ النتائج راضياً

لذ الطعام لهم وساغ المشرب
في ريقه وتحير المتذبذب
بيت على هام النجوم مطنّب
وغدت تنوح على الفخار وتنحب
ورأوا خروق جلالهم لا ترأب (٥٤)
شادوا وخاب جميع ما قدر تبوا
وتهشمت أظفارهم والانيب
قدر وغالبهم قضاء أغلب
والغمير يتهم الزمان ويعتب



ظفر نخون به البلاغة أهلها
الا اذا خطبوا كما كانت على ال
فمن البليغ ومن له بقريحة
أو يستعير لظى جهنم ألسناً
هي وقعة لا البحر عين مثلها
كلا ولا حدث انتصار شبهه
لن يسأل التلميذ عنه معلماً

مهما أجادوا في البيان وأسهبوا
غمرات أصوات المدافع تخطب
موحى لها تمل عليه ويكتب
تتلو أحاديث الشرور وتعرب
من عهد نوح يوم أضحي يركب
ذهل الورى بتامه وتعجبوا
قبل المعلم سوف يخبره الاب

(٤)

عقد الصلح

والقيصر المغرور في أجناده
قد كان يسكره من يفتحه به
ما مدَّ رزقت بصلح كفه
ورأى لها ديويت فهو جذيها
رجلٌ خبير بالأمر محنك
بدهائه الخلاب صار كأنه
جذب الأجنب واستمال قلوبهم
خلب العقول بسحره وبيانه
فأبت سيوف الروس والنار التي
وغدوا على جرف يطل على الردى
قد نال ديويت بفضل يراعه
فتخوف اليابان ردة حزمهم
وإذا رأيت بأن زادك ما كل
فاذا بششت لهم نسبت إلى الندى
قبلوا وقالوا إنما حقن الدما
أضحى يميل إلى السلام ويرغب
واليوم حن له وأوشك يطلب
إلا أتاه ملياً يترحب
وهو العذيق محكك ومرجب (٥٥)
خصم لدود بالسياسة قلب
نمر وكومورا لديه أرنب
إن التزاف يستميل ويجذب
وهي الفصاحة بالعواطف تلعب
وقدوا خبت وأحل ما قد كتبوا
فانتاشهم قلم أحد مثقب
ما لم ينله مؤثر ومذرب (٥٦)
حتى رأوا أن التحايز أنسب
للناس فاطعمه وأنت مرحب
وإذا منعت فإن زادك يغضب
أولى من الطمع الذميم وأوجب

وأبت عليهم حلبة الاقلام ما يوم الزحام أقرفيه المقضب (٧٥)



حال تذكرنا بحالتنا مع آل
فلقد كسبنا بالصوارم فوزنا
هذي كريد تريك اني أصبح آل
عبثاً غدت تنضي الصوارم للوغى
ويؤمل الشجعان عقبى نصرة
فالعصر عصر مآرب ومنافع
يونان اذ هاجوا الانام وحزبوا
ولدى انعقاد الصلح ضاع المكسب
مغلوب يعطى والمظفر يسلب
ويشدُّ سرج أو يحدد مخلب
أرواحهم فيها تباع وتوهب
كل له في ما يحاول مآرب



مولد ولي عهد روسيا الكسيس

في ١٢ آب سنة ١٩٠٤

بعد انصراف شأنه اطول بور آر نور

في ١٠ آب

(١)

للروس عرشٌ بالعزائم شيدوا
فيه القياصرة العظام كأنهم
أقيال رومانوف من راياتهم
ما زال منهم سيد عن عرشه
واليوم قيصرهم تقولا بأسه
ملك تلاحظه السعود فان كبا
ماقط أغضبه زمانه مدبر
الدهر يخشى بأسه حتى سعى
أولاه تعزية بساعة حزنه

أركانهُ فهو القديمُ السرمدُ
للفتح أسياف تُسل وتُغمدُ
أضحت على عشر البرية تُعقدُ
الا تلاه على الأريكة سيدُ
فأش تخر له العباد وتسجدُ
مدت من الجد الرفيع له يدُ
الا وأعبه الزمان المسعدُ
بعد الاساءة نحوه يتوددُ
طفلاً يخفف خطبه ويبردُ

(٢)

يا أيها الطفل الموسد هل ترى
لما ظهرت أنجاب أفق ادكن
كيف أستفز أبالك هذا المولد
بجياته وابيض يوم أسود

قد جئته والحربُ فاغرةٌ فما
 فيك استعاض عن الجموع كأنه
 نسي الألوفاً تبيد من أجناده
 أجدت عبرته على قتلى الوغى
 بردت حسرته وعند جنوده
 أمر المدافع فانبرت صعقاتها
 هل ذكرته أن في منشوريا
 تجتاح مضرِب جنده وتبدد
 بك واجد ما في المعارك يُمقد
 لما ظهرت وأنت فذُّ مفرد
 ولفا قديهم عبرة لا تجمد
 لنوى بينهم حسرة لا تبرد
 باذاعة البشرى تعج وتُرعد
 نار المدافع للكتائب تحصد

(٣)

أهل البلاط غدوا يهني بعضهم
 لما طلعت طلعت فيهم باكياً
 هم يضحكون وأنت تبكي بينهم
 لم تجن بعدُ جنايةً يبكي لها
 حَسِبوا السماء تخافت عن عدلها
 طمحت إلى أرض السوى ابصارهم
 أمروا بقتل النفس وهي بريئة
 بعضاً ويشكر للاله ويحمد
 وبدت عليك كآبة وتوجد
 مع أن حظك بالمسرة أزيد
 وهم استبدوا في العباد وأفسدوا
 مع أن عين الله يقظى ترصد
 ولسأ بها حشدوا الجيوش وجندوا
 وعصوا وصايا ربهم وتمردوا

(٤)

هل كنت تلقى إذ نزلت إلى الثرى
 فنظمت وشكت إليك عذابها
 تلك النفوس إلى الاعالي تصعد
 مما يذوب له الأصم الجأمد

فأتيت مكتئباً على ما نابها
وعرفت انك بارح عدلاً الى
الجور مفكوك الأئنة مطلق
في المهدأنت اليوم معصوم فهل
فتبث اصلاحاً وتولي رحمة
أم تستبيك مفسد الدنيا ألا
فتشيب منتقماً حريصاً هاضماً
ظلمات وأنت من العيوب مجرد
دار بها عيش التقي منكدر
والعدل مغلول اليدين مقيد
تنمو وفيك من الطهارة مرشد
تحيا بساكيها العباد وتسعد
ان المحيط مبدل ومجدد
حق الرعية تستبيح وتحقد

(٥)

ها أنت تنمو في عناية والد
والبعض من أبناء جيلك لا أب
آبؤهم سقطوا بساحات الوغى
فاذا نموا وملكت فأرفق ذا كراً
وعساك تنشأ عادلاً لا تدعي
فالملك جسم والعدالة درعه
والملك بستان أعز سياجه
يتوقع الاصلاح منك ولينا
حان يذود السوء عنك ويطرده
يحنو عليهم ان بكوا وتهدوا
ليوسعوا لك دولة ويمهدوا
حق الذين على ولاك استشهدوا
أن الجميع لاجل عرشك اوجدوا
درع بمحبوك الحديد مسرد
عدل به ریح المخاوف تركد
نحيا لنعرف ما يجيء به الغد



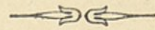
تفسير بعض الالفاظ الواردة في هذه القصائد

- (١) أسأر — أبقى والسوئر هو البقية
- (٢) الخنع — الذل والغدر
- (٣) الترائب جمع التريبة وهي عظام الصدر ما بين الترقوتين أو البارز من الصدر بين العنق والثديين
- (٤) البرور — جمع البر وهو خلاف البحر
- (٥) الشعري العبور — كوكب في برج الجوزاء
- (٦) السرايا — جمع السريّة وهي القطعة من الخيل
- (٧) صخب — صات شديداً
- (٨) الجمير — موضع اجتماع القوم
- (٩) الزجور — الحرب الشديدة الدلوح
- (١٠) المبير — المهلك
- (١١) الحفير — القبر
- (١٢) المزير — الشديد القلب والقوي النافذ
- (١٣) أعتاد الحرب — أدواتها وعدتها
- (١٤) المعائل — هي الحصون وتمور تهتز وتميل الى السقوط

- (١٥) يُغذِّ — يسرع في السير
- (١٦) القزم الزمير — القميء الصغير الجثة الذي لا غناء عنده
- (١٧) رُهَام الطير — ما لا يصيد منها
- (١٨) الهدير — تغريد الحمام
- (١٩) السكور — السدود
- (٢٠) أبسه — أسلمه إلى الملكة وأحلس بمعنى ألزم
والضبير هو الشديد
- (٢١) الشكير — صغار الشعر والريش
- (٢٢) النضح — الدفاع
- (٢٣) السجير — الخلل الصفيّ الودود
- (٢٤) الشطير — البعيد
- (٢٥) المآزق — مضايق الحرب
- (٢٦) البسور — الشجاع الشديد البأس
- (٢٧) النعير — الصراخ في الحرب
- (٢٨) المور — السحاب الكثيف
- (٢٩) الجؤور — رفع الصوت في الدعاء
- (٣٠) أوفض — انتهى في مسيره وانصرف
- (٣١) ندر العظم من موضعه — زال

- (٣٢) الخشاش — حشرات الارض
(٣٣) المتن — الظهر للركوب
(٣٤) الذمير — الشجاع الباسل
(٣٥) الدخور — الذل والعار والصغار
(٣٦) النشح — الشرب القليل دون الريّ والبلغة ما يُتبلغ
به من قليل الزاد . يقال صار شرابهم نشحاً وطعامهم
بلغة ونوعهم غراراً
(٣٧) البور — الهالك
(٣٨) استحير — على المجهول أسغ
(٣٩) الصياصي — جمع صيصية وهي مرتفعات الارض
والمشارف التي يُمتنع بها
(٤٠) تمجّس — صار مجوسياً يعبد النار
(٤١) تنوشه — تأخذه وتعبث به
(٤٢) الوتين — العرق أو الشريان الكبير الخارج من القلب
(٤٣) المدّر — الكتل من التراب
(٤٤) المُصّات — المسلول والمُنْتَضَى
(٤٥) المتشعث — المتفرّق والمتبدّد
(٤٦) الرواسم — الابل السريعة السير

- (٤٧) اللُّغَبُ — جمع اللاغب وهو من تعب وأعيا
- (٤٨) المَجْثَمُ — المر بوض
- (٤٩) الرُّبْرُبُ — القطيع من المهى
- (٥٠) الاشعث — المغبرّ والمتلبّد
- (٥١) عَصَبٌ صَبُّ — يوم شديد الحرّ
- (٥٢) الخضمّ — البحر
- (٥٣) يُشْعَبُ — يجبر
- (٥٤) تُرَابٌ — تسد وترقع
- (٥٥) جذيلها المحكم وعذيقها المرجب عبارة عن صاحب شأنها
والجدير بها والجذيل هو الوتد المركوز في وسط المعطن
تحتك به الابل والعذيق المرجب هو غصن الكرمة المرفوع
القوائم بما فيه من الحمل الكثير
- (٥٦) المؤتر — هو القوس والمذرب هو السيف المرهف
- (٥٧) الحلبة — الميدان والمقضب السيف



كتاب تولستوي لقيصره

بعث حضرة الناظم العالم خلال الحرب الروسية في ١٨ ك ٢
١٩٠٥ الى أحد اصدقائه بتعريب كتاب الكونت تولستوي الروسي
الى القيصر الذي كان بعثه اليه منذ أربع سنوات عند ما كان ذلك
الفيلسوف مشفياً على الهلاك وحاسباً انه مائت لا محالة مما استحکم
فيه من الداء الذي ظنه عقماً وقد تعاقبت الأشهر والسنون والرسالة
مطوية في خزائن قليلة لا وقوف عليها الا للعدد النزر من أصحاب
الفيلسوف الذين لم يجسروا على نشر ذكرها أو التحدث بشأنها الى
ان قوي حزب الاصلاح بسبب الحرب الاخيرة وانطلقت الاقلام
من عقلمها لترجم شعائر الأمة كما توحى اليها الاحوال فظهرت
رسالة تولستوي على صفحات الجرائد وانتهت الى نسخة التيمس
الصادرة في ٦ ك ٢ (يناير) ١٩٠٥ تزف لقراءها تلك الرسالة وتثني
على أبي عذرها ثناءً طيباً فأثرت الحاقها بهذه القصيدة الفريدة
لعلاقتها بالموضوع وتكون عبرة للملوك والامراء والغوغاء والدهماء قال
تولستوي ما تعريبه بقلم ناظمنا النابغة :

أيها الأخ العزيز : ان خطابك بهذا النص يظهر لي أليق من
غيره « مما تعودت سماعه من عبارات التبجيل والتعظيم » أولاً لاني

أخاطب فيك الآن انساناً أو أخافني الانسانية متغاضياً عن اتصافك
بأوصاف الملك وعظائم السلطان وثانياً لاني مستقبل الموت العاجل ولم
يبق في حياتي الا دقائق قليلة فكأنني أكتب اليك من العالم
الآخر وتأبى نفسي الانصراف من هذه الدنيا الفانية قبل ان تبث
اليك ما تكن وتعلن وما تئن له من أحوال هذه الأمة وأحوالك معها
وقد ضرب الشقاء عليها سرادقاً يُرصد لها سوء المنجات و يبلغها الى
جرف الهلاك اذا طال سراها في هذه المجاهل المترامية .

ثلث روسيا اليوم تديره السلطة الخاصة وهو محروم من كل
قانون ونظام . جماعات البوليس العنفي والخفي تزداد كل يوم . السجون
والمنافي ومواضع الارهاق « الكورك » صارت تربي على العدد .
المجرمون السياسيون أصبحوا يزيدون بعددهم عن المذنبين بالجرائم
العادية . وصارت الجريمة السياسية « التي لا يفهم معناها غير المتأدبين
بآداب الدولة والحاصلين على نصيب من العلم والتهذيب » كثيرة
الصدور من العملة والجهال . السيطرة على الاقلام بلغت حدّاً
لا تطيقه النفوس الحرة وانتهت في أيامك الى مبلغ لم نعرف له نظيراً
في أقبح أيام الاستبداد . الاضطهاد الديني ومعارضة عباد الله في
عباداتهم وتأدية فرائض ربهم وصلت الى حالة يطيب معها الموت
في كل عاصمة ومدينة نرى الجنود تعبي وتنفذ والاسلحة تُرصد

وتشجذ للاقتصاص من الأمة الناقمة . هذه الفصائل من الجنديسير
بها القواد بأفرك لقتال رعيتك والتنكيل بأبناء دولتك وجلد جلود
الافراد من الشعب الروسي الذين لا يجسرون على التذمر من هذه
الاسوءاء فقد شبَّ النزاع الاهلي وقام الأخ على أخيه في ارجاء
كثيرة من بلادك وتفاقم الشرّ منذراً بأوخم منه

الفلاحون في ظلك الظليل يناهزون مئة مليون بعددهم وهم قوام
دولتك وينايع خزيتك وحماة حوزتك فهل تدري أنهم يزدادون
اقلاماً وفقراً والمسكنة تقنحهم بذها سنة بعد سنة بما يوضع عليهم من
الجزى الباهظة التي ما برحت تنمو بمقاديرها لتتلقى النفقات الفاحشة
التي تقوم بها الدولة حتى أصبح الجوع كثير الانتشار في انحاء
البلاد والاستياء من الحال الحاضرة فاشياً بين الأهلين العالم منهم
والجاهل

وسبب ذلك كله هو ان أعوانك الذين تتوكأ عليهم
وتلجأ الى آرائهم وتهتدي في مشكلاتك بهديهم يؤكدون لك
ان سلامتك وسلامة دولتك لا تقومان الا بمنع العقول عن الترقى
وايقاف نمو الأمة في عمرانها ومدنيتها

على ان صدّ النهر الكبير عن جريه أسهل من صد الأمة عن النمو
والارتقاء الذي هو صفة للحَيِّ غير منفكة عنه تجري بأمر الله سبحانه

ولو كره المخربون

بطانتك يشيرون بسياسة العنف ويزينون لك الاستبداد والعسف
ولههم في ذلك أوطار وما آرب يقضونها منك ومن أمتك وهم يقولون
في أنفسهم الخبيثة ان بلغنا مشتها نا فعلى الدنيا السلام .

« Après nous le déluge »

لا عجب من فعالهم وهم قوم انتفاعيون يبعون الخير لانفسهم
انما العجب كل العجب منك وأنت الرجل الحرّ الكامل الذي
لا ينقصه شيء من مقومات العلم والعمل كيف تصدّق مقالهم وتصغي
الى أضاليلهم وترتكب في سبيلهم أقبح الجرائم في طلب المستحيل
الذي يُغرونك به من ايقاف الترقى البشري وصد نشوء العمران
الذي هو سنة الله في خلقه

لا يخفى عنك ان المعاش البشرية منذ عرفت الى اليوم مازالت
تتبدل ضروبها الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية فهي أبدأ
تنقل من الخشونة والقساوة الى الرفق واللين وتدرّج من العنف
الى اللطف ومن الاعتباط الى الاحكام والقصد امام شيروك فيقولون
لك خلاف ذلك مؤكدين لك ان الديانة الارثوذكسية والسلطة
المطلقة اللتين كانتا صاحبتين للأمة في القرون الخالية هما اليوم كما
كانتا قبلاً وان الاجدر بك ان تحافظ على المذهب الارثوذكسي

والسلطان المطلق مهما انفقت في هذا السبيل وبدون ذلك لا يستقيم لك أمرٌ في انحاء بلادك وهذا القول فيه خطأ مثني : شواهد الحال لا تدع لأحد مجالاً ليدعي ان المذهب الارثوذكسي هو اليوم راسخ في نفوس الأمة تميل اليه بطبعها كما كان لها في الاجيال المنصرمة لأن التقويم السنوي الذي يضعه مراقب الجمع المقدس عندنا بين ان المذاهب الجديدة تنشأ كل سنة واصحابها يزداد عددهم بسرعة عظيمة . وفوق ذلك لو كان المذهب الارثوذكسي من لوازم أمتنا وراسخاً في طبيعتنا لما احتيج في المحافظة عليه الى استعمال العنف والارهاق

كذلك هي الحال في الحكم المطلق الذي كان مقبولاً عند ما كان الروسيون يعتقدون ان القيصر يحكم عليهم باذن الله وانه معصوم من اخطأ تديره يد العناية فلا يفعل الا ما شاء الله من خير أو شر . اما الآن وقد اصبح غالبهم يعلمون أو يستطيعون العلم بعد قليل من الدرس والمراجعة ان القياصرة الصالحين قليلون جداً وأيام دولتهم تعد من سعود الامة التي تقع مرّة في القرن والقرنين وان اكثر القياصرة الذين ركبوا عرش روسيا كانوا مخرّبين ظالمين أو جهلة خالعين مثل يوحنا الرابع وبولس . والامة اليوم تدري جيداً أن القيصر مهما كان بالغاً من الذكاء شأواً بعيداً لا يستطيع ان

يدير شؤون مئة وستة وثلثين مليوناً من الخلق بل الحكم والادارة
والامر والنهي موكولة الى أعوان يناط بهم العمل وهوؤلاء الاعوان
يهمهم الاحتفاظ بمناصبهم اكثر مما يهمهم النظر الى مصالح الامة
لعلك تقول أن القيصر يختار لمشورته قوماً مشهوداً لهم بالفضل
بعيدين عن الاغراض . أقول ان القيصر لسوء الطالع لا يستطيع
ذلك لانه ليس له معرفة الا بعدد قليل من الافراد الذين اتصلوا
به اما اتفاقاً واما بالتزلف والاحتياالات الكثيرة وهوؤلاء القوم
لا يفتأون يجربون عنه كل من يخشى استعماله وتمزيه عليهم فالقيصر
اذن لا يختار اصفياءه وأعوانه من بين هاتيك الالوف من رجال
العقل والنشاط والمعرفة والاخلاص الذين يتلهبون غيرة على أوطانهم
ويذوبون شوقاً الى التمكن من خدمتها بل يتخذهم من أولئك
العشرات الذين كان بومارشاس يقول فيهم:

« Médiocre et rampant et on parvient à tout »

فان كان السواد الاعظم من الروس يشعرون بوجوب الطاعة
للقيصر فهم لا يشعرون بها لرجال حاشيته الذين لم تثبت لهم على
أحد مزية عقلية أو عملية أو اخلاقية ومع ذلك فهم يأمرؤن في الامة
باسم القيصر وينهون

أما بمقدار اخلاص الامة لك واغباطها بك وبسلطانك المطلق

فلا أراك الا مغروراً بالهتاف الذي تسمعه من السواد الكثيف
الذي يقف لك ويركض خلفك عند ما تمرّ في شوارع موسكو أو
غيرها من العواصم . فلا تزعم ان هذه الظواهر تدل على شدة
التعلق باهداب عرشك واعلم ان تلك الغوغاء ليست الا زمراً من
المتفرجين الذين يصيحون مع الصائحين ويخرجون هكذا بالصراخ
والهتاف لكلّ حادث غير مألوف وفي كثير من الاحيان يجمعهم
رجال الشرطة بأمر عمالك ويعلمونهم كيف يجأرون بالدعاء لك
ليظهروا لك ان حكمة عمالك وسداد ادارتهم في العمل الذي وليتهم
اياهم قد أنطق الالسنه بمدحك وعقد القلوب على ولائك تزلزلاً الى
خيرك وطمعاً بما عندك من الظل الوارف والعيش الخضال . كما
جرى في خاركوف لاستقبال جدك اذ غصت كنيستها الكبرى
بالموظفين المتكرين والحاكم يقول له هو لاءهم اعيان البلاد يطرئونك
ويقفون القلوب على محبتك وطاعتك . عند مامرّ قطارك القيصري
لو تيسر لك الدنو من تلك الجموع المزدحمة خلف صفوف الجند
اسمعت من أولئك الفلاحين السدّج جملاً بعيدة عن الاخلاص
ومنكرة للسلطان المطلق . أولئك البأسون الذين أخرجهم جندك
من بيوتهم واكرههم على ترك أعمالهم والمسير من قراهم ومزارعهم
ساعات كثيرة ليقفوا لك في الطريق ويصرخوا عند مرور قطارك

أداموا أياماً طويلاً في انتظارك وقد يبس زادهم وفني صبرهم وازرقت
شفاههم من البرد وارتخت ركبهم من طول الوقوف. هؤلاء كانوا
ينطقون بلسان الامة بعبارات تسوءك لو سمعتها وتظهر لك كذب
ما يموه به عليك بطانتك من رضا الامة عنك وارتياحها اليك
منذ خمسين سنة في أيام تقولا الاول كانت مهابة القياصرة في
قعسها اما الآن فقد تقلصت تلك المهابة وتضاءل ذلك المجد وصار
الكبير والصغير يجسر على التنديد بأعمال رجال الدولة وتفنيد أفعال
القيصر نفسه بل ربما تطرّف الكثيرون الى القدح باخلاقه
والاستهزاء به

استبدادك هذا يصلح اجراؤه على قوم متوحشين مثل القاطنين
في مجاهل افريقيا الوسطى . أما القيام به بين الروس منضماً مع
مذهبك الارثوذكسي الذي تحمل الناس عليه طوعاً أو كرهاً فلا
يمكن الا بممارسة الاجحاف والظلم والاعتساف بالقتل والابعاد
والاضطهاد الديني ومصادرة الكتب وامسالك حرية المطابع والسيطرة
على كل مكتوب ومقول والتمويه في معاهد التدريس وكل عمل من
أعمال القساوة والشراسة

هذه هي فعالك منذ تربعت في دست السلطان وطويت
راحتك على قائم الصولجان . افنتحت الاستبداد بجوابك لرسول

الامة الذين جاؤوا يلتمسون منك وضع دستور للعمل يوم دعوت
هذه الامنية المحبوبة « أضغاث أحلام » وكسرت قلوب شعبك
الذين كانوا يوطنون أنفسهم على الخير في ايامك . ثم استمرت
منتقماً هاضماً للحق وداقاً لعنق العدل الى يومك هذا . من ذلك
أوضاعك في فنلندا . ونهابك في الصين . واضافتك على اعتادك
الحرية وأنت تجهر بالسلم وتقترح على أقرانك تأليف مجلس التحكيم
في لاهاي . واضعافك للمجالس الانتخابية لتحصر القوة في عمالك
الظالمين . واجازتك للاضطهاد الديني الذي يقام على أصحاب
المذاهب غير الارثوذكسيين ممن لا يدينون بدينك ولا يقولون
برئاستك الروحية . ورضاك عن احتكار السوائل الروحية المسكرة
والاتجار بها للدولة وهي سموم تهدم بنيان الشعب وتوقع التداعي في
عمرانهم . وفوق الكل اصرارك على استعمال الضرب في
العقوبات والاستنطاقات متغاضياً عن الاسترحامات المتكررة التي
رفعها الشعب اليك لتبطل هذه الطريقة الهمجية من القصاص التي
تخط منزلة الانسان الى درجة الحيوان الاعجم وتلحق بالشعب
الروسي هواناً عائباً . وكل هذه الهفوات ما كنت لترتكبها لولا
مشورات أعوانك الذين لا يكتفون بملكك على ايقاف العقل
والمجتمع البشري عن النمو بل يزينون لك الرأي في ارجاع الانسان

الى الحالات الوحشية التي تخلص منها بفضل العقل والتجربة
بالجور والظلم يستطيع الملك ان يضيق الخناق على الشعب ولكنه
لا يستطيع أن يحكم عليهم لان الحكم على الأمة في هذا الزمان
لا يتيسر للحاكم الا اذا جعل نفسه زعيماً يتقدم بها من الشر الى
الخير ويسير أمامها من الظلمة الى النور في السبيل الذي يراها تودُّ
سلوكه . وهذا لا يستقيم له الا اذا جعل لها وسيلة لتُسمعه صوتها
وتصرّح بحاجاتها ورغائبها ثم بوضع تلك الحاجات والرغائب موضع
البحث والنظر واجراء ما ينطبق منها على حاجات الفئة الكبرى
منهم دون ما يخصّ مصلحة الافراد أو الفرق من الناس
لو خيّرت أمتك اليوم لاخنارت قبل كل شيء نزع الامتيازات
التي تقضي بالتفريق بين الكبير والصغير من الرعية وترعى حق
فرقة من الناس دون غيرها ثم حرية التنقل من مكان الى مكان
وحرية العلم وحرية الدين وجميعهم يطلبون الحرية المتساوية في
استعمال الارض واستثمارها والغاء مبدأ الاقطاعات الذي يئن منه
الجميع ويعتبرونه سبب الشكوى الاعظم التي يترتب على الدولة
الاهتمام بنزعه

لا بدّ في كل عصر من حاجة تعتبر حاجة الامة الكبرى
تقتضيها حياة الامة لاستمرار النمو والبنيان وهذه الحاجة كانت

منذ نصف قرن نزع الاستعباد ومنع الاسترقاق وتحرير الرقاب اما
اليوم فهي حلّ مشكل العملة أي تخليصهم من الرؤساء الذين
يضغطون عليهم ويظلمونهم . يحسب البعض في أوروبا ان مسألة
العملة تحلّ بنقل المعامل التي يشتغلون بها من ملك أصحابها الى ملك
العملة فيها وهذا الاسلوب سواء كان موافقاً للممالك الاوروبية أو
لم يكن فهو على الاطلاق لا يناسب بلادنا اليوم انما الطريقة الوحيدة
عندنا هي الغاء نظام الاقطاعات وجعل استغلال الارض من
الحقوق التي يشترك فيها جميع السكان بدون استثناء وهذه
الامنية هي ما نتوق اليه نفوس الروسين منذ عهد بعيد ويودون
بلوغه جبراً لقلب الفلاح وتنشيطاً ليده على العمل . انا اعلم ان
مشيريك يهزأون باقوالي هذه ويحسبون اقتراحاتي ناشئة عن
قلة الاختبار بالحكم وعدم الاضطلاع بشؤون الادارة على اني
اعلم جيداً حقيقة ما اقول واشعر ان الاصلاح في هذه البلاد
لا يمكن الا بمساواة الناس في الحقوق بالارض ورفع ايدي الامراء
ورؤساء الاقطاعات عن استخدام الفلاح والاستيلاء عليه وعلى
من في بيته . والعاقلة هو من تدارك الخطب قبل حلوله وخرج من
سيل التيار قبل وصوله . سل الذين يقولون لك ان تحرير الفلاح
بالارض غير ممكن اليوم كيف امكنهم ان يحاولوا ايقاف مجرى

الترقى واقامة الحواجز في سبيل العقول ليحبسوا اكثر من مئة مليون
من الخلق في صدفة الجهل بعد ان خرجوا منها فيا للعجب كيف
يرون المستحيل ممكناً ويباشرون العمل به ويرون الواجب
مستحيلاً وينصحون بتركه وبالتجانف عنه ألا ترى العصابات
الفوضوية والجمعيات الثورية تنمو في بلادك كل يوم وان الباعث
الاكبر على نموها هو نظام الاقطاعات الذي جئت اريدك على
الغاءه وان كنت تحسبني مخطئاً في رأيي هذا فما عليك الا ان
تطلق السنة الامة وتفتح آذانك لسماع شكواها وعندها تسمع صوتاً
واحداً يرن من كل بقعة من بقاع بلادك مستجيراً من جور
الامراء وطالباً حق الانتفاع بعمل يديه

ايها الاخ العزيز ان حياتك في هذه الدنيا قصيرة فلا تضعها
بطلب المحال من معارضة سنة الله في ترقى البشر وانتقاهم من الشر
الى الخير ومن الظلام الى النور بل املاً حياتك بالاعمال المجيدة
التي يرضى بها الله عنك وافتح صدرك لقبول شكايي الامة التي
صرت قيماً على مصالحها ثم تداركها بالاصلاح واجبر عثراتها واهدتها
الى سبيل الرشد والفلاح

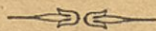
انت اليوم صاحب الامر والنهي في هذه الامة الواسعة الاطراف
والكثيرة العدد وتستطيع ان تفعل خيراً كبيراً او شراً كبيراً بحسب

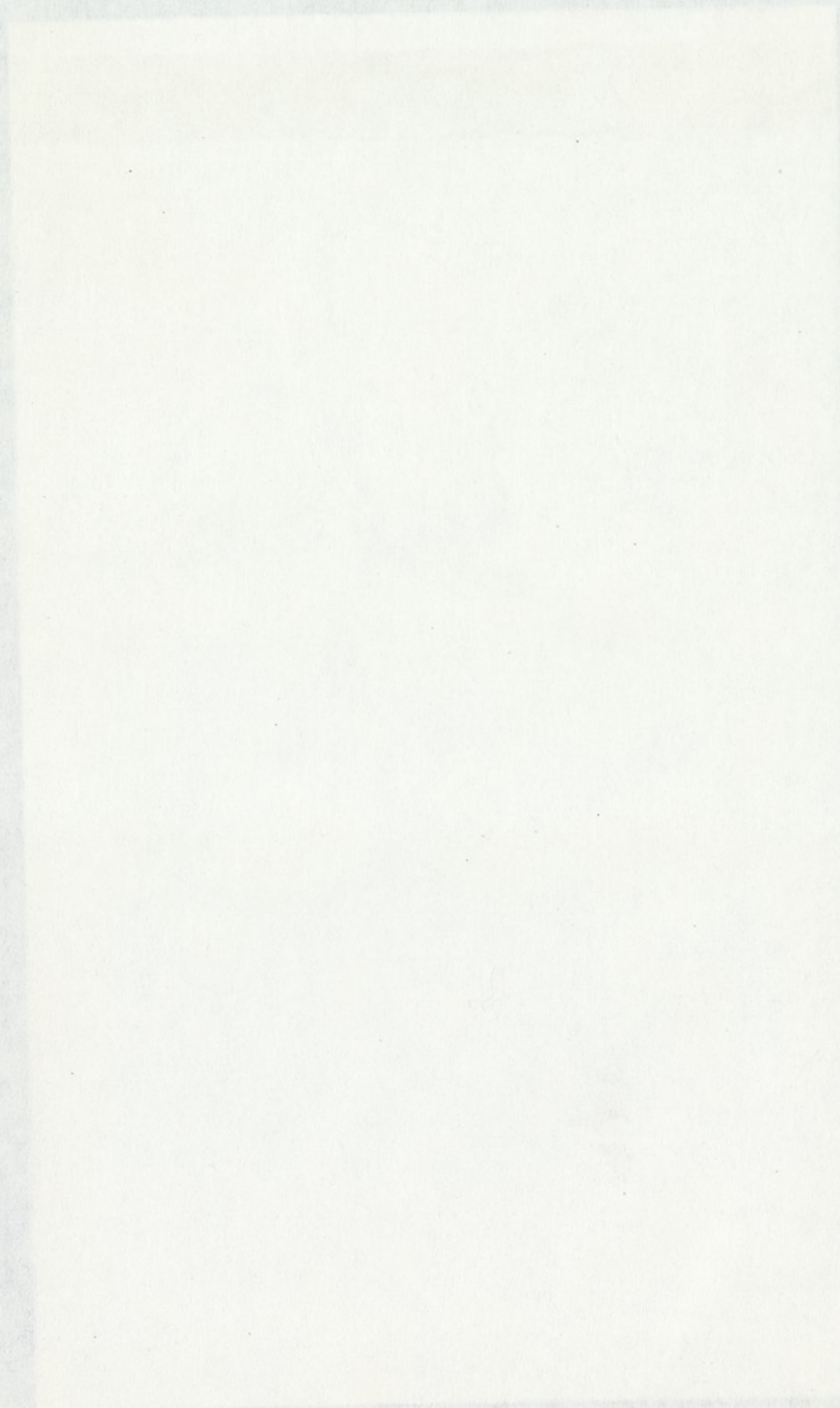
اهوائك . والتبعة عليك في واجباتك عظيمة جداً على ان التبعة
 امام الله عند ما يطالبك بنفسك اعظم منها فهو اقامك في الدنيا
 ومن عليك بالقوة لتخدمه وتعمل بمشيئته وانت تعلم جيداً انه
 سبحانه يطالبك بان تفعل الخير لعبيده وتجتنب الاضرار بهم
 ردّد هذه الامور في فكرك وانت خال امام ربك الذي يمثله
 لك صوت الضمير ولا تخفك العقبات التي تتمثلها في بالك اذا
 عزمت على ركوب خطة جديدة من الحياة فان تلك العقبات
 تضمحل من نفسها ان كنت تقدم على العمل وانت تطلب فيه
 مجد الله وتلبية صوت الضمير

عفواً ايها العزيز اذا كنت احزنتك على غير قصد مني فقد
 حثني الى كتابة ما كتبت غيرة غرتها لخيرك وخير الامة الروسية
 والمستقبل يكشف خطائي من صوابي في مزاعمي هذه. اما انا فاني
 راحل الى ملاقة ربي وضميري ساكن على طأ نينة لاني قضيت
 واجباً علي لك ولامتي واني في الختام امحضك اخلاصي
 واصفيك ودّي
 اخوك

ليون تولستوي

١٦ كانون الثاني سنة ١٩٠٢





COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0046023160

PJ
7842
.H815
W3

MAY 21 1975

PJ. 7842..H815-W3